الجامعة

﴿ الجزء التاسع ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — اغسطس (آب) سنة ١٩٠٢ — جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

مشروع جديد في اللغة العربية

﴿ يسرُّ قراءها ﴾

(اوّاه برناردين وكتابه الخالد)

سُمع بعضهم في مجلس حضره الجنس اللطيف والجنس النشيط الحديث التالي

قال احد الحاضرين : هاتوا مائدة اللعب · يريد لعب الورق · فقال جليس آخر: لقد كرهتْ نفوسنا هذا اللعب الممقوت فهلا ارحتمونا منه · فبادرته احدى السيدات بقولها : ماذا نصنع اذا لم نلعب · هل نصرف وقتنا بالتثاؤب والنوم ام بالاغتياب والنميمة بالناس · فاجابها ذلك الجليس : اقرأي ايتها السيدة وطالعي · فقالت السيدة ضاحكة · ماذا تريد ان اطالع فانني لا اجد شيئًا يلذ لي

﴿ رأي ام ﴾ فقالت حينئذ ام فاضلة كانت تصغي بانتباه ودلائل الفضل والعقل على وجهها» لقد مسَّت حضرة المدام في قولها هذا مكانًا مؤلمًا تجب مداواته · فانني قبل حضوري

من البيت الى هنا اردتُ اعطاء ابنتي كتاباً جديداً تطالعه في مدة غيابي لئلا تضجر من الانفراد فاقمت ساعة افتش في مكتبتي عن كتاب يسلّي العذراء ولا تضرها قراءته فلم اجد . فعدت واعطيتها كتاباً انكليزياً . ولا يجب الاستدلال بذلك على فراغ مكتبتي لانها تتضمن كثيراً من الروايات والكتب القديمة والحديثة . ولكنني اخشى على آداب ابنتي وعلى اخلاقها من مطالعة الروايات التي يحشوها مترجموها بما يفسد الاخلاق والآداب. والكتب التي بين الايدي لا تلذ لها لانها قديمة . فمتى تبطل شكوى الامهات والعائلات من هذه المسالة »

﴿ رأي معلم ﴾ فاجاب معلّم كان في جملة الجالسين « اننا نشكو هذه الشكوى جميعاً ايتها السيدة . وكلنا في حاجة الى الكتب التي تشيرين اليها . فان تلامذتنا كثيراً ما يسالوننا كتابةً وشفاهياً « ما هي الكتب التي تجب علينا مطالعتها ورسم مواضيعها في اذهاننا في اوقات الفراغ فاننا نسأم الكتب المدرسية « فنجيبهم « طالعوا ذاك الكتاب الانكليزي . وهذا الكتاب الفرنسوي . الخ » وقلما نذكر لهم كتاباً عربياً . وهو غبن لهذه اللغة العربية الكريمة التي نعشقها ونحب المطالعة بها . اما الروايات التي ذكرتِها فانها مفسدة للاخلاق والآداب بلا مراء ولذلك احسنتِ بمنعكِ ابنتكِ من مطالعتها . ولكن هذا المنع لا يكون فعالاً الا متى صدرت روايات تهذيبية تقوم مقامها ولا يكون الغرض منها غير نشر الآراء الادبية والاجتماعية والفلسفية في ثنايا الفكاهة . فهل تُنشر في اللغة العربية روايات كهذه الروايات لتغذي نفوس الفتيات في البيت والفتيان في المدرسة . لا ريب في اننا نحن المعلمين نوجب على كل تلميذ لنا اقتناء هذه الكتب حين صدورها . بل اننا نقرأها مع تلامذتنا في اثناء الدرس ونشرح لهم ما خفي وظهر من معانيها فيكون ذلك لهم بمثابة درس اختباري جديد يرون فيه عالم الكمال والصلاح فتتقوى به نفوسهم وتتشدد قبل نزولها الى ميدان العالم الفاسد »

﴿ رأي كاتب ﴾ وكان هنالك كاتب يصغي اليهم وهو يبتسم . فلما سكتَ المعلم قال . « كنت اظن ان الاستاذ يتناول هذه المسالة من جهة اعلى من هذه الجهة . فانني اسلّم معه بافتقار اللغة العربية الى الكتب العالية ولكنني لا ارى نشر هذه الكتب واجباً لتغذية عقول الفتيان والفتيات بل اراه واجباً لانه يجب للغتنا نفسها وحرصاً على سمعتها . ومعنى ذلك اننا لا نطلب امهات الكتب العالية لما نرجو من فائدتها بل نطلبها لذاتها لانه عار علينا ان لا نكون قد ظفرنا بعدُ بشيء منها فضلاً عن استدلالنا بمجرد ظهورها على ارتقاء

الافكار عندنا . ولو عاش الخليفة المامون في هذا الزمن لضحك ولا شك من تهاوننا وقعودنا عن استخراج كنوز المعارف الاوربية كما استخرج في عهده وبامره كنوز المعارف اليونانية تاييداً للنهضة البغدادية . فهل لدينا الكتاب الادبي الجليل الذي الفه الغزالي وعنوانه « ايها الولد » . هل نشرنا كتاب « الطريق » لديكارت . هل ترجمنا شيئاً لكوت . هل طبعنا « الميزرابل » . هل نقلنا كتاب «نقد العقل المجرد » لكنت . هل نشرنا « بولس وفرجيني » . هل عربنا « اميل . والميثاق الاجتماعي » . هل لخصنا سبنسر . هل ترجمنا كتب افلاطون الالهي . هل عربنا تراجم فلوطرخس التي نفضلها على الالياذه والاوديسه . هل ورد اسم باكون باللغة العربية في غير المقتطف والجامعة . هل نُشر تاريخ المسيح والديانة المسيحية لرنان قبل هذا العام . هل لدينا تاريخ لتمدن العرب يفصل بجراءة وشجاعة الاسباب الحقيقية التي بها عظمت دولة العرب وبها ضعفت وانحطت والتي لم يجسر صاحب كتاب « تاريخ التمدن الاسلامي » الذي صدر في هذا الشهر على الاشارة اليها فجاء كتابه ناقصاً اهم مواضيعه »

﴿ راي مريض ﴾ وكان في زاوية في القاعة شاب مستلق على مقعد وعليه غطاء يدل على اعتلال صحته . فلما راى هذا المريض الضجر الذي بدا في وجوه الجالسين من هذا الكلام الذي كانوا لا يفهمون شيئاً منه التفت الى الكاتب وقال . رويدك ياصديقي فاننا لا نطلب كل هذا . وذلك لسببين . الاول انَّ معدنا الادبية ضعيفة لا تهضم الا الغذاء الخفيف . والثاني ان نفوسنا لا تطلب الا ما كان متعلقاً بها من المواضيع كالفلسفة الادبية والدينية التي هي غذاء النفس البشرية . ولذلك ترى اكثر القراء لا يهتمون بشيء من العلوم الطبيعية كالجيولوجيا والطب والهندسة والفسيولوجيا وما اشبه . وذلك لان هذه العلوم لا تخاطب النفس فلا تحتاج النفس اليها الا في حين الحاجة اليها . فما الفائدة اذاً من ضياع الوقت في الكلام عنها . وبما انكم انتم الاصحاء قد ذكرتم حاجاتكم فاسمحوا لمريض ان يذكر حاجاته ايضاً

« اننا نرى الاصحاء يؤلفون ويكتبون دائماً للاصحاء . افلا نجد مريضاً يكتب ويؤلف مرةً للمرضى . فان ذلك صار امراً ضرورياً في زمن كهذا الزمن الذي يموت فيه في بلاد فرنسا وحدها ١٥٠ الف نفس في كل عام بعلة واحدة . وما ذلك الا من نقمات هذه المدنية الهائلة التي تزيد الضعفاء شقاءً في هذه الحياة . ولكن اليس من واجبات الكتَّاب ان يزيلوا بنعمة المطالعة شيئاً من هذه النقمة . لقد مضت عليَّ ستة اشهر وانا

طريح الفراش بداء عياء . فصغرت نفسي وكرهت الحياة وتمنيت الموت . ولما كنت اطلب كتاباً للمطالعة كنت لا اجد شيئاً ترضاه نفسي لان كل ما كان يقع في يدي من الكتب والروايات كان يثير في نفسي جرثومة الحياة ويحبب اليّ دار البقاء التي كرهتها والتي انا عالم بانني ساخرج منها . فشعرت حينئذ بالحاجة الى كتاب يسمونه « كتاب المرضى او كتاب الحزانى » . كتاب توصف فيه الدنيا بصفاتها الحقيقية من الفناء والغرور والباطل ويوصف به الموت بصفاته الحقيقية من الراحة الابدية والسكون الدائم والخلاص من هذا القفص الارضي . ويضمّ الى هذا الكتاب كثير من حوادث الحزن والنكبات في العالم حتى اذا وقف عليه المريض وجد املاً في الشفاء من جهة وتعزية عن مصابه من جهة اخرى واذا طالعه الحزانى والثاكلات والذين فقدوا الاحباء والاعزاء وجدوا فيه ما يفرّج كربهم من التامي بمصائب غيرهم بدلاً من ان يظنوا ما يظنه كل حزين في اشد اوقات حزنه من ان الدنيا كلها لاهية بافراحها ومسراتها وليس فيها احد حزيناً غيره . فمن يا ترى يكتب هذا الكتاب فيعزي به القلوب القريحة والنفوس الجريحة . انني اهبكم كل الكتب التي ذكرتموها بهذا الكتاب وحده »

﴿ مشروع الجامعة ﴾ نقول . فلما جالت في خاطرنا هذه الآراء المختلفة ذكرنا مشروعاً قديماً حفظناه في فكرنا منذ انشاء الجامعة الى يوم توسيع ادارتها وزيادة آلاتها وعددها . ومؤدى هذا المشروع نقل كتب ضرورية يجب نقلها الى اللغة العربية فبعد وقوفنا على الآراء التي تقدمت عزمنا على انفاذ هذا المشروع ابتداء من هذا الجزء

وبناء على ذلك فان كل جزء من اجزاء الجامعة سيحتوي بعد الآن رواية من الروايات الفلسفية والادبية او كتاباً من الكتب السامية التي يضعها مؤلفو الافرنج في اسمى الدرجات . وقد تكون هذه الرواية او هذا الكتاب في ٣٠٠ او ٤٠٠ صفحة فنلخصها كلها في ٣٠ او ٤٠ صفحة تلخيصاً يبقي فيها كل فوائدها وجميع اغراض المؤلف ومواضيعه كما اعتاد القراء ان يروا ذلك في اسلوب الجامعة . وبذلك نستطيع ان ننقل الى اللغة العربية في كل عام ١٢ كتاباً كان يجب ان تنقل اليها منذ ازمان . ولا يخفى ما في ذلك من التعب والعناء لان مطالعة كتاب وتلخيص صفحاته الكثيرة بعدة صفحات عمل شاق لا يعرف قدره الا كل من عاناه . ولكن كل عناء يهون علينا في سبيل خدمة قراء هذه اللغة الكريمة والفائدة التي نرجو حصولها من هذا المشروع

ومما يسرّنا خاصةً ان الكتب التي سننشرها على هذا المنوال ستحقق اماني السيدة

والام والمعلم والمريض الذين تقدمت الاشارة الى آرائهم في صدر هذا الفصل · فالسيدة تجد بعد الآن كتاباً جديداً يلهيها عن اللعب · والام تستطيع ان تضع بين يدي ابنتها العزيزة كتاباً جديداً مفيداً دون ان يعروها الخوف منه على آدابها واخلاقها لانه يكون مصدراً للآداب والاخلاق · والمعلمون والمعلمات سيقولون لتلامذتهم احفظوا هذه الكتب في اثمن مكان عندكم اي في اذهانكم · والمريض يقرأه فتسكن آلام نفسه ويهدأ اضطرابها و يبتسم للموت بعد خوفه منه

﴿ ابتداء المشروع ﴾ واذا كان القارئ والقارئة في ريب من ذلك فليطالعا الرواية الادبية الفلسفية الطبيعية التي نشرناها في ذيل هذا الجزء وجعلناها ابتداء هذا المشروع وهي رواية « بولس وفرجيني » · ولا ريب ان القراء يذكرون اننا وعدناهم في مقدمة « الكوخ الهندي » منذ سنة بنقل هذه الرواية الى اللغة العربية لانها اشهر واجمل رواية ادبية يجب ان تُلقى بين ايدي الناس · وهي افضل كتاب كتبه مؤلفها « برناردين دي سان بيير » بل هي افضل كتاب ادبي كُتب في عصره · وقد قال شارحو كتبه ان هذه الرواية وضعت برناردين في درجة هوميروس وفرجيل وتاسيت فصار بها خالداً مثلهم · ولما نُشرت هذه الرواية في باريز (عام ١٧٨٩) قام لها عالم الادب وقعد وما قرأها احد من الجنسين الا اذرف لها دموعاً سخينة ولم يولد غلام في ذلك العام الا وسمي « بولس » ولا ابنة الا وسميت « فرجيني » · اما ناشرو الكتب فانهم زوروا طبعتها ٣٠٠ مرة اي انهم طبعوها ٣٠٠ مرة من غير اذن المؤلف ليستطيعوا اجابة الجمهور الذي كان يطلبها من كل صوب · فعسى ان يكون لها في اللغة العربية شيء من الاقبال الذي كان لها في لغتها لاننا بذلنا الجهد لجعلها — كتابةً وطبعاً وورقاً وصوراً — مساوية للنسخة الاصلية

﴿ فائدته ﴾ وقد اقدمنا على هذا المشروع ولا غرض لنا سوى نشر مبادئ (الجمال · والخير · والحق ·) في النفوس وهي الالفاظ الثلاثة التي جعلتها الفلسفة عمادها وأكبر اغراضها · بل ليست هذه الكلمات الفاظاً انما هي ينابيع تفيض خيراً وصلاحاً للبشر · فهنالك ينبوع للجمال يشعر الواقف عليه بجمال وسناء في باطنه تهتز لهما النفس من التاثر والانفعال (كوصف بولس وفرجيني وحديثهما في الصفحة ١٧ و١٨) وهنالك ينبوع للخير يشعر الواقف عليه بعظمة الخير والصلاح ولذتهما اذا كان من اهل الخير والصلاح ويشعر بصغر نفسه وحقارتها اذا لم يكن من اهلها (كتيه فرجيني في الحرش لصنع الخير ورفضها خلع ملابسها في الختام) وهنالك نبع للحق تجري منه الفلسفة العذبة التي تعزّي الانسان في

هذه الحياة وتريه اباطيلها و زخارفها اباطيل و زخارف كما هي في الحقيقة لا عظائم وكبائر كما يصورها الاجتماع للذهن وانه لا عظمة غير العظمة الادبية (كفلسفة المؤلف في الانفراد في الصفحة ٣٠ وحديث بين شيخ وفتى في الصفحة ٣٢) — هذه هي ينابيع الفائدة الحقيقية في المطالعة الحقيقية . وكل كتاب لا يشعر مطالعه بجمال وسناء داخلي في نفسه . ولا يرى انه صار بعد مطالعته افضل واميل الى الخير والصلاح منه قبل مطالعته . ولا يحس بانه عرف به شيئاً من الحقائق الازلية الكبرى التي تحكم العالم فان ذلك الكتاب لا تساوي قيمته قيمة الحبر والورق اللذين طبع بهما . ولقد كتب الفيلسوف فيكتور كوزين استاذ الفيلسوف جول سيمون كتاباً بناه على فلسفة افلاطون وعنوانه هذه الكلمات الثلاث (١) وربما لخصنا هذا الكتاب في بعض الاجزاء القادمة

ورغبةً في الاحاطة بوصف هذه الينابيع الثلاثة التي تفيض الخير لمحبي المطالعة يكفي ان ننقل هنا ما قاله مؤلف « بولس وفرجيني » في الصفحة ٣٨ عن كتب الادب والفلسفة والحكمة . واليك نصه

« ان الآداب يا بني عون الهي وهي اشعة من الحكمة الرائعة التي تحكم العالم (يعني بالآداب كتب الادب والفلسفة والحكمة) والانسان لم يتعلم استنزالها الى الارض الا بوحي او شبه وحي سماوي . وهي شبيهة باشعة الشمس من حيث انها تنير وتسر وتبث الحرارة في النفس . وحرارتها حرارة الهية . ومن خواصها انها تسكن الشهوات وتكبح جماح الرذائل وتهيء النفس لقبول الفضيلة بما تبسطه امامها من سير افاضل الناس الذين تذكر حوادثهم . فكانها طائفة من بنات السماء ينزلن الى الارض ليطردن هموم الجنس البشري ويسلينه في متاعبه . واذا نظرتَ الى اعاظم الكتاب الذين نبغوا في العالم وجدتَ انهم لم ينبغوا الا حين الحاجة اليهم والى مبادئهم وان الزمن الذي نبغوا فيه كان اشد الازمان على مواطنيهم . فكانهم يُرسلون خاصة لانارة بني جنسهم وتبديد همومهم . فاقرأ يابني اقرأ وطالع فان الحكماء الذين كتبوا الكتب قبلنا انما هم مسافرون تقدمونا في طريق المصائب وهم يمدون بكتبهم ايديهم الينا لمساعدتنا في طريقنا حين يكون جميع الناس قد تركونا وتخلوا عنا »

﴿ الخاتمة ﴾ هذا ما رأينا ذكره الآن عن هذا المشروع . وربما وسعنا دائرته

---

(١) الجمال والخير والحق

في المستقبل توسيعاً يتجاوز كل حدّ اذا راينا اننا اصبنا به الغرض المقصود . والله نسأل ان يلهمنا الصواب ويأخذ بيدنا لاتمامه اي لاخراج ما في نيتنا اخراجه الى اللغة العربية من الكتب التي هي ينابيع « الجمال والخير والحق » لجمهور القراء في الشرق . اما ما نرجوه من الجزاء على هذه الخدمة فقد نلناه بحمد الله ومساعدة القراء وهو الاقبال على كل ما تُصدره الجامعة اقبالاً ينسينا كل تعب وعناء . هذا كل ما يُرجى في الشرق اليوم ومن يطلب الآن اكثر من ذلك فانه يدلُّ على انه جاهل مجرى النواميس الطبيعية

هذا ولنا في الختام رجاء واحد الى حضرات القراء . وهو اننا نذكر اننا منذ سنوات لما ادخلنا رواية « بولس وفرجيني » التي جعلناها ابتداء هذا المشروع الى احدى المدن السورية لم تُسمَّ فيها باسم فرجيني غير طفلة واحدة . وقد جاءت هذه الطفلة نبيهة وان كانت اكتسبت النباهة من اهلها لا من اسمها . فالجامعة يسرها الآن بعد نشرها هذه الرواية ان تعلم من قرائها عدد الاطفال الذين يُسمون بعد الآن في انحائهم « بولس وفرجيني » اقتداء باهل باريز حين ظهور هذه الرواية ..

ترجمة برناردين مؤلف الحلقة الاولى من المشروع



برناردين دي سان بيير



جان جاك روسو استاذه

ولقد نشرنا تفصيل هذا المشروع في باب « المشاهير » لندمج فيه ترجمة الحكيم الاول الذي جعلنا مبادئه مفتتح هذا المشروع وهو برناردين دي سان بيير الفيلسوف الذي مبادئه عظيمة كالطبيعة التي يصفها والذي امتاز عن كتّاب فرنسا بفلسفة عذبة تسلي الانسان وتعزيه ومبادئ سلمية تجعله يكره كل شقاق ونزاع وآداب نقية من كل شائبة وآراء في الطبيعة تحببها الى جميع الناس . واليك خلاصة ترجمته فانه يجب ان لا تخلو الجامعة منها وخصوصاً في الجزء الذي نشرت فيه اهم كتبه

ولد برناردين في الهافر (فرنسا) في عام ١٧٣٧ وتوفي في اراني في عام ١٨١٤ . وكان ابوه مديرًا لشركات مركبات في الهافر فنشأ برناردين في الفقر وتلقى دروسه الابتدائية

في مدرسة للآباء اليسوعيين في كاين وفي مدرسة اخرى في روين · وقد اكثر في صغره من مطالعة كتاب روبنصن كروزي وكتاب سير القديسين وسافر الى المرتنيك وكان كثير الجلوس على شاطىء البحر والتامل فيه وساح سياحات كثيرة مع راهب يدعى « الاخ بولس » فكل هذه الشؤون غرست فيه ميلاً الى الطبيعة ونفورًا عن الناس وحبًا شديدًا للرحلات البعيدة · فقام في نفسه ان يزين لحكومة روسيا انشاء مستعمرات في شواطىء بحيرة « ارال » فسافر الى بطرسبرج فعرف فيها المارشال دي مونيخ والجنرال بوسكه والمسيو دي فيلبوى · فمال اليه المرشال واصطنعه · اما الجنرال بوسكه فانه « قدم له يد ابنة اخته » اي اقترح عليه الاقتران بها فاعتذر برناردين لانه كان فقيرًا · واما المسيو فيلبوى فانه سعى لجعله ضابطًا في الجيش الرومي وقربه من الامبراطورة كاترين الثانية فكان اقرب المقربين اليها فيما قالوا لانه كان صبوح الوجه لطيف المنظر كما تدل عليه رقة كتاباته وبعضهم زعم انه صار عشيقها · ثم ارسلوه بمهمة الى فينلنده ولما عاد منها ارسلوه الى بولونيا ولكنه لم يلبث ان سئم الشؤون السياسية السرية التي كان يمارسها فقفل راجعًا الى وطنه · فعرض عليه فردريك الكبير ملك بروسيا رتبة ضابط في الجيش البروسي في عودته فابى برناردين ذلك وعاد الى باريز فاصطنعه المسيو دي برتويل وارسله الى « جزيرة دي فرنس » وهي احدى المستعمرات الفرنسوية وفيها جعل المؤلف حوادث « بولس وفرجيني » · فبقي في المستعمرة ضابطًا ومهندسًا وهو يبعث من حين الى حين رسائل الشكوى الى المسيو دي برتويل حتى سئم منه فتخلى عنه · وبعد مدة عاد الى باريز فقيرًا كما ذهب منها وقد سئم الاستخدام في الحكومة وعزم على « ان يعيش من ثمار بستانه » كما قال اي من شق قلمه · فعكف على الكتابة والتاليف ومنذ هذا الحين دخل في الطريق المستقيمة التي خُلق لسلوكها دون سواها · فالف برناردين كتبًا كثيرة منها سياحة الى (جزيرة دي فرنس) · وسياحة الى راس الرجاء (الكاب) · واركاديا · ودروس طبيعية وهي اقسام · والطبيعة والادب · وسياحة في سيليزيا · وموت سقراط · وكلام عن الجرائد · وكلام عن جان جاك روسو · وقصص السفر · والكوخ الهندي · وغيرها من الكتب والاسفار المفيدة · واهمها كلها « بولس وفرجيني التي نحن الآن في صددها

ولما انتشر بين الناس اول هذه الكتب (وهو سياحة في جزيرة دي فرنس) اقبل القراء من كل جانب عليه وشعر الخاصة والعامة ان هذا الكاتب قادم عليهم باسلوب جديد ولهجة جديدة · فقد كانت عبارته رقيقة تكاد تذوب طلاوة وحلاوة وكان له في وصف

المناظر الطبيعية والعواطف الادبية والدينية اسلوب لم يظهر على قلم غير قلمه · فانهالت على الكاتب كلمات التنشيط والثناء وسعى له رئيس اساقفة اكس فمنحته الحكومة راتباً قدره الف فرنك · وعينت له احدى الجرائد ٦٠٠ فرنك والدوق دورليان ٨٠٠ فرنك وعين له احد اقلام الحكومة الف فرنك ايضاً وربح من كتبه لاول مرة ٦ الاف فرنك فاكتفى برناردين الحاجة بهذا المال واستطاع التفرغ للتاليف والكتابة فانار بقلمه سماء فرنسا وقتاً طويلاً

ولما بلغ برناردين هذا الشاو كان قد وصل الى قمة جبله وكان اكتب كتاب زمانه بعد جان جاك روسو الذي كان استاذه · اما في الفلسفة الادبية فقد كان برناردين مقدماً عليه عند كثيرين · وقد تزوج برناردين مرتين واخذ في كل مرة دوطة طائلة مكنته من ابتياع منزل بعيد عن الناس والمعيشة فيه بين الازهار والاشجار والدفاتر والمحابر براحة وسلام كما عاش صاحب الكوخ الهندي وبولس وفرجيني · وقد توفيت زوجته الاولى وهي مستاءة من هذه المعيشة اما زوجته الثانية فان الانفراد كان منطبقاً على ذوقها فعاشا معاً سعيدين مستترين · ولما توفي برناردين اقترنت زوجته بالكاتب ايمه مارتين المشهور فتولى هذا الكاتب طبع كتب برناردين · وقد طالعنا من كتب « ايمه مارتين » كتاب « تربية امهات العائلة » فرايناه فيه يكثر من الاستشهاد ببرناردين ويلقبه بالفاضل مراراً وما كنا ندري يومئذ انه زوج ارملته

وقد وضعنا في هذا الفصل رسم برناردين بجانب رسم استاذه جان جاك روسو · ويحسن بنا هنا ان نختتم الكلام بقصة صغيرة عنهما · وتفصيل ذلك ان برناردين وروسو كانا في ذات يوم يتنزهان تحت الاشجار التي كانا يحبانها فالتفت برناردين الى استاذه وساله : هل انت « سان برو » يامسيو روسو · وقد اراد برناردين بذلك ان يعلم هل ان روسو قد وصف نفسه في « رسائل هيلو ييز الجديدة » التي بطلها رجل يُدعى « سان برو » فاجابه روسو « لستُ « سان برو » تماماً ولكنني كنت اود ان اكونه » — وكل من طالع كلام برناردين في الصفحة ٣٠ من « بولس وفرجيني » جاز له ان يقول عنه كما قال روسو عن نفسه : ليس برناردين بالشيخ الذي حكى قصته هناك ولكنه كان يود ان يكونه · وانما وصف في ذلك الكلام المعيشة التي كانت تصبو جوارحه اليها والتي ذاق لذتها في آخر عمره كما رايتَ في ترجمة حياته · وبذلك وجدت فضيلته ما كانت تستحقه من جزاء الراحة والهدوء والسلام في هذا العالم

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ الرسل بعد المسيح

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

تابع ماقبله

التعاليم في النشأة الاولى ٠ (سنة ٣٥ للميلاد المسيحي)

اما تعليم الرسل في النشأة الاولى فقد كان محصوراً في دائرة صغيرة لان السيد اجتنب في تعاليمه كل بحث في ما وراء الطبيعة ٠ وكان في تعليمه عقيدة واحدة وهي بنوته لله ومهمة الهية جاء الى الارض من اجلها ٠ وبعد صلبه كان جميع تباعه وتلامذته يعتقدون بقرب عودته اليهم في مجد عظيم و ينتظرون هذه العودة ٠ وكان شعارهم يومئذ اي العلامة التي يعرفون بها بعضهم بعضاً قولهم « ماران اثا » ومعناها ان السيد آتٍ (١) ذلك انهم كانوا يذكرون قولاً له بقي في اذهانهم وهو « ان البشارة لا تصل الى جميع مدن اسرائيل الا و ياتي ابن الانسان » وكان اعتقادهم في السيد انه « انسان نبي مقتدر في الفعل والقول (٢) وقد ارسله الله بمهمة خاصة للانسانية (٣) ونفخ فيه روحه وبث فيه قوته ٠ وقد صرف حياته في الارض في صنع الخير وشفاء الذين كانوا مسكناً للشياطين ٠ وقد كان قادراً على ذلك لان الله كان معه (٤) ٠ فهو اذاً ابن الله اي انساناً مرسلاً

١) كورنثوس ص ١٦ ع ٢٢
٢) انجيل لوقا ص ٢٤ ع ١٩
٣) اعمال الرسل ص ٢ ع ٢٢
٤) اعمال الرسل ص ١٠ ع ٣٨

من قِبل الله ونائبه في الارض

وبما ان السيد قد اجتنب في حياته تعليمهم شيئاً من الطقوس او الطرق المادية التي اتخذها اصحاب الاديان المتقدمة للعبادة فلذلك كانت الديانة الجديدة يومئذ خالية من الحفلات والطقوس . ولم يكن عندهم كاهن بل كان اقدمهم عهداً في المذهب يتقدم في الصلاة . ذلك انه لا كاهنَ غير يسوع . وبعبارة اخرى ان كل واحد منهم كان كاهن نفسه ويسوع راس الجميع . وكان الصوم عندهم من الاعمال الحسنة والعماد علامة دخول الانسان في مذهبهم . غير ان العماد لم يكن كافياً بل كان يجب ايضاً مسح الداخل الجديد بالروح القدس . وطريقة ذلك ان يصلي الرسل على راس الطالب ويضعوا ايديهم عليه للبركة

وكانت هذه العادة عادة وضع اليد من العادات التي الفها يسوع وكان يحبها ولذلك صارت بعده عملاً مقدساً بل اقدس الاعمال . وكان من خواصها في اعتقاد الرسل انها تعطي الذي تُوضع اليد عليه نعمة الروح القدس فيصير قادرًا على صنع العجائب والنبوءة والنطق باللغات المختلفة فضلاً عن انارة نفسه واحيائها . وهو ما كانوا يسمونه العماد الروحي

وعلى ذلك فقد كان المذهب المسيحي يومئذ في بساطة تامة . واما عادة العماد فليست بفلسطينية الاصل بل انها كلدانية ولا يزال الصابئة يمارسونها في قسم من بلاد الكلدان الى هذا اليوم . وكان ايضاً في ديانة الفرس القديمة شيء من ذلك

نقطة فلسفية مهمة في النشاة الاولى

وكانت الطائفة في ذلك الحين قليلة العدد وحديثة النشأة ولذلك لم تهتم في بدء الامر بمسالة الدفن والموت . ولكن حينما حدثت فيها الوفاة الاولى حدث فيها شيء من الاضطراب . ذلك لان الجميع اخذوا يتساءلون هل ان الذين يتوفاهم الله اليه قبل عودة ابن الانسان يكونون اقل حظاً من الذين يبقون في قيد الحياة لمشاهدة مجده حين عودته . ثم عادوا فقرروا ان الوقت الذي يمرُّ بين موت الانسان وبعثه في اليوم الاخير يكون عبارة عن فراغ في نفس الانسان وضميره . ومن ذلك يظهر ان ما جاء في الفلسفة اليونانية خصوصاً في « فيدون » عن نفس الانسان بعد الموت لم يكن قد دخل يومئذ الى المذهب المسيحي . فان هذه الفلسفة مقتضاها ان النفس موجودة قبل الموت وبعده وان الموت خير للانسان بل هو الحالة الطبيعية الفلسفية الحقيقية لان النفس تتجرد فيه من كل مادة تعيقها . هذه هي خلاصة بعض المذاهب اليونانية . ويظهر ان المسيحيين في صدر نشأتهم كانوا

يعتقدو ن اعتقاداً يخالفها لانه يظهر انهم كانوا لا يفهمون امكان وجود الانسان من غير جسده . وقد دام هذا الاعتقاد وقتاً طويلاً حتى دخلت الفلسفة اليونانية الى الكنيسة وامتزجت بمذهبها في البعث (القيامة) اما الآن « اي في السنة الخامسة والثلاثين للميلاد المسيحي » فقد كانت هذه الفلسفة مجهولة

واما طريقة الدفن فقد كانت يومئذ على الارجح كطريقة اليهود . ولم يكونوا يهتمون بهذه الحادثة كثيراً ولا كانوا ينقشون اسم الميت على الضريح لان الميت لا يقيم في حفرته الصخرية غير مدة وجيزة لقرب يوم القيامة (البعث) . واما كون القيامة تشمل الصالحين والاشرار معاً او الصالحين وحدهم فذلك امر لم يهتموا بالاتفاق عليه

زهرة النحلة المسيحية وطريقة الصلاة الاولى

وقد كان من اخص صفات المذهب الجديد امران : الاول ظهور النبوءة فيه بعد ان كانت قد بطلت في اسرائيل ولذلك قام في هذا الزمن عدة انبياء ونبيات كما كان في العهد القديم (زمن التوراة) والثاني ظهور مرنمي الزبور (المزامير) . وكانت هذه النبوءات وهذه المطالعة في الزبور اموراً مألوفة ولكنها امتازت بما كان يتخللها من روح التقوي والحب والمسالمة . فكانها صدى نغمات عود اسرائيل القديم . وعلى ذلك فقد كان كتاب الزبور بمثابة الزهرة الجميلة التي جنت من كاسها النحلة المسيحية اوّل ما جنته من العسل . واما اسفار التوراة الخمسة الاولى فقلما كان ابناء المذهب الجديد يطالعونها في ذلك الزمان

واما طريقة الترنيم في هذا النشيد الجديد فربما كانت الطريقة التي لا يزال يجري عليها اليوم اليونان والمارونيون خصوصاً ومسيحيو الشرق عموماً . وهي عبارة عن اصوات ممدودة مقرونة بزفرات وليس فيها قاعدة ظاهرة . فهي اشبه باصوات متتالية تخرج سريعة مقرونة بضرب من التصويت يخرج من الانف منها بتوقيع موسيقي . وكانوا ينشدون هذا النشيد وهم وقوف باحترام بعيون شاخصة وجباه متجعدة تدل على الاهتمام والجهد . وكانوا يلفظون في ختام الصلاة بصوت مطرب اي مرتجف كلمة « آمين » و يريدون بها اشتراك الجماعة في صلاة المصلي كما كانت العادة يومئذ عند اليهود . وربما كان اليهود يعتقدون بان لهذه الكلمة تاثيراً سرياً مفيداً ولذلك كانوا يلفظونها بتانق وتفخيم في الصوت . ولسنا نعلم شيئاً مما اذا كان هذا النشيد يومئذ مقروناً بالتوقيع على آلات موسيقية ام لا ولكن كيفما كانت الحالة فانه دليل على ما كان في النفوس من السرور والفرح . ولذلك جاء

في اقوالهم : اذا كنت حزيناً فصلِّ واذا كنت مسروراً فانشد

هذا ومما لا يحتاج الى بيان ان الطائفة لم تدوّن يومئذ حوادثها لاستغنائها عن الكتابة . انما قال السيد انه يعود قبل فناء ذلك الجيل . اما كتاب « اعمال الرسل » فانه لم يُكتب الا في سنة ٨٠ بعد الميلاد المسيحي اي بعد انقضاء نحو نصف قرن على صلب المسيح

انتشار المذهب الجديد

وكانت يومئذ الطائفة المسيحية الاولى عبارة عن جماعة من اهل الجليل . اما الذين مالوا اليها في حياة السيد من سكان اورشليم كلعازر ومرثا ومريم من بيت عنيا و يوسف الذي من الرامه فانهم تفرقوا ولم يعد يظهر لهم اثر . ولم يبقَ احد ملتفاً حول التلامذة الاثنى عشر غير الجليليين . فاخذ التلامذة في الوعظ والتعليم . وكانوا يعظون في رواق سليمان وكان وعظهم مقصوراً على اقامة الدليل من نصوص التوراة على ان يسوع الناصري هو المسيح . وكانت حججهم ضعيفة ولكن كل اقوال اليهود في ذلك العصر كانت كذلك . ولا نستثني من هذا الضعف اقوال علماء اليهود انفسهم التي نُشرت في المشنا . اما ما ذُكر من ان التلامذة كانوا في ذلك الحين يجمعون الشعب في الساحات العمومية و يخطبون فيهم فهو مردود بانّ الذين صلبوا السيد لا ياذنون لتلامذته بعقد حفلات كتلك الحفلات

و بناء على ذلك نقول ان التلامذة لم يستميلوا الناس اليهم بما كانوا يلقونه من الخطب الضعيفة ولا ما كانوا يصنعونه من العجائب البسيطة وانما كانت واسطة الاستمالة الحقيقية حديث هؤلاء الرجال الصالحين الانقياء واقتناعهم الشديد بما كانوا يدعون الناس اليه فضلاً عن تقواهم وحبهم للخير والمسالمة . فكانّ كلام السيد ابقى في حديثهم صدى مؤثراً . ولا ريب ان اشتراكهم جميعاً في المعيشة قد زاد هذا التاثير ايضاً لان دارهم كانت عبارة عن ملجاء يلجاء اليه الفقراء والمساكين

ستاتي البقية

بلدان فلسطينية يصفها فلسطيني

لحضرة الفاضل نجيب افندي نصار في طبرية

بينما كنت انتبع في الجامعة تاريخ المسيح للفيلسوف رنان عثرتُ على اسماء قديمة لبعض البلدان في فلسطين ولئلا تفوت معرفتها الذين ليس لهم المام بتواريخها رغبت في ذكر اسمائها المتعارفة و بيان مواقعها وشذرات من تواريخها مع بيان مواقع المدن الخمس التي صرف فيها السيد معظم عمره ومارس فيها اعماله وتعاليمه ايضاحاً لما ذكره رنان · فاقول

﴿ مقاطعة غولونيتيس ﴾ وردفي الجزء الثالث للسنة الثالثة (صفحة ١٦٥) « اسم يهوذا الغولونيتي او الجليلي » · وهو الذي اقدم على عمل دبني حماسي واعدمه الرومانيون. فالغولونيتي نسبة الى غولونيتس احدى مقاطعات حوران الخمس في ايام الرومانيين وهي هذه : « ايتوريا » و« غولونيتيس » وهي واقعة شرقي بحيرة طبرية ونهر الاردن وتدعى اليوم « الجولان » والى الشرق منها « باتانيا » واسمها اليوم جبل عجلون والى الشمال الشرقي من هذه « تراخونيتيس » و « اورانيتيس » وتدعى الآن حوران · ومن هذا يظهر ان غولونيتيس التي اتخذت اسمها من مدينة جولان القديمة التي كانت من نصيب سبط منسى (يشوع ص ٢٠ ع ٨) هي غير الجليل الواقعة الى الغرب من نهر الاردن وبحيرة طبريا

﴿ مقاطعة بيريا ﴾ وورد في الصفحة ١٦٤ ان هيرودس انتيباس كان والياً على الجليل و بيريا · فبيريا هي البلاد الواقعة شرقي الاردن وبحر لوط بين الجولان شمالاً ووادي ارنون المدعو اليوم وادي الموجب جنوباً · وكان هذا الوادي العميق حداً طبيعياً يفصل بين مملكتي مواب من الجنوب وعمون من الشمال · ومن مدن مقاطعة بيريا الشهيرة جرش الممتازة بابنيتها القديمة العظيمة وبينها الملاعب الفسيحة والهياكل العظيمة والقصور الشائقة والسوق الطويلة الممتدة بين صفوف الاعمدة الضخمة المنحوتة والمنقوشة كراسيها واغطيتها نقوشاً متقنة جميلة للغاية على الطراز الكورنثي والايوني · ومن مدنها ايضاً مدينة عمان التي كانت تُدعى ربة عمون وهي عاصمة مملكة العمونيين اعاد ابناءها بطليموس الثاني الملقب فيلادلفوس ودعاها فيلادلفيا نسبةً اليه · ويسكنها الآن نحو الف وخمسمائة عائلة من مهاجري الجراكسة · وفي طرف مقاطعة بيريا الجنوبي الى الشرق من بحيرة

لوط قلعة « ماكيروس » التي ذكرها رنان واسمها الحالي (مُكاور) بناها هيرودس الكبير وحصنها انتيباس على الحدود بينه وبين حميه ملك العرب وفيها سُجن يوحنا المعمدان وقُطع راسه . واليها بعث انتيباس امراته لتذهب من هناك الى ابيها

﴿ الولاية العربية في عهد الرومانيين ﴾ اما بتره التي جاء ذكرها في الصفحة ١٦٨ من الجزء الثالث فقد كانت يوماً عاصمة بلاد العربية ومركز تجارتها وتعرف الآن باسم (وادي موسى) ولقد ذكرها يافوت المؤرخ بهذا الاسم وسميت كذلك لانهم يعتقدون ان موسى ضرب صخرها بعصاه فانفجرت منها ينابيع المياه فشرب الاسرائيليون . وهي واقعة على مسافة نحو خمسين ميلاً الى جنوبي البحر الميت في وادٍ صخري طوله ثلاثة ارباع الميل وعرضه خمسمائة يارد من جهة الشمال ونصف ذلك من الجنوب . والمدينة تشغل كل هذه المساحة . ولم يزل يُرى من خراباتها بقايا قبة نصر وآثار قصور وكنيسة وهيكل وعدة مدافن جميلة منقورة في الصخور بعضها يشابه المدافن اليهودية . واغرب ما يوجد بين هذه الاثار الملعب الكبير البالغ قطره تسعة وثلاثين ياردًا والحاوي ثلاثة وثلاثين صنفاً من المقاعد كافية لجلوس اربعة الاف من المتفرجين . وفي اعلى هذه الصفوف غرف مفتوحة بشكل قناطر وجميع ذلك منقور في صخر واحد صلب ومنحوت نحتاً دقيقاً مما يدل على ما كان لوادي موسى من الاهمية والحضارة . واما الآن فلم يبقَ فيه شيءٌ سوى قبائل البدو الضاربة اطنابها حوله

﴿ المدن الخمس التي عاش السيد فيها ﴾ اما المدن الخمس التي قال رنان انها كانت مجهولة في ايامه ما عدا المجدل الواقعة على شاطىء البحيرة الغربي على مسافة ٣ اميال الى الشمال من طبريا فقد صارت معلومة اليوم . اما دلمانوثه فهي واقعة في منتصف الطريق بين طبريا والمجدل بقرب ينابيع مياه حارة قليلاً وقد اكتشفوا هناك بعض آثار ابنية . ويؤيد كون دلمانوثه قريبة من المجدل قول الانجيلي (مرقص) ص ٨ ع ١٠) ان السيد جاء الى نواحي دلمانوثه ومتى (ص ١٥ ع ٣٩) انه جاء الى تخوم مجدل

واما كفر ناحوم فيظن المؤرخون انها كانت في مكان تلحوم الحاليـة ولذلك اشترى الاباء الفرنسيسكانيون اراضيها وبنوا عليها ديرًا صغيرًا . ويؤسس الكتبة براهينهم بشان موضعها هذا على المشابهة بين الاسمين (كفر ناحوم وتلحوم) مع كون هذه المشابهة غير كافية لان يُسند اليها الكتبة الثقات اقوالهم ما لم يكن اسم تلحوم مستخرجاً من تل ناحوم . وعلى فرض ذلك فمن الضرورة ان نكون قادرين على تعقب تاريخ هذا الاشتقاق

حتى العصور الاولى بعد المسيح حالة كوننا لا نستطيع في ذلك ان نتعدى زمن الصليبيين. فان هوءلاء رأوا بعض الخرابات في ذلك المكان و بينها آثار ابنية رومانية فظنوا انها بقايا المجمع الروماني الذي بناه قائد المائة الروماني لليهود وهكذا دعوها بدون ترو متبركين كفر ناحوم . وعنهم اخذ العرب اسم تلحوم وتداولوه حتى يومنا هذا . غير اننا نعتقد ان وجود الآثار الرومانية في تلحوم يوءيد رواية يوسيفوس بان انتيباس رفع قرية بيت صيدا الحقيرة وجعلها مدينة بما شيده فيها من الابنية الجميلة و زيادة عدد سكانها ودعاها بعد ذلك بيت صيدا جولياس . ولا ريب في كون ذلك الملك او الوالي لم يقم ابنيته الشائقة بين الاكواخ اليهودية الحقيرة بل بناها على حدة وجعلها مستعمرة رومانية جديدة شرقي القرية القديمة لجهة مصب نهر الاردن ليتمكن السكان من الانتفاع بمياه النهر وانشاء الجنائن والبساتين على ضفافه . وامتدت المستعمرة مع طول المدى الى عبر مصب النهر ولذلك صار مشاهير بعض الكتبة يعتقدون على رغم قول يوسيفوس هذا او على غفل منه بوجود قريتين باسم بيت صيدا الاولى اليهودية والثانية الرومانية اي جولياس حالة كونها واحدة كما ظهر مما تقدم

اما كفر ناحوم الحقيقية فقد اقتادتنا الادلة الى حد الجزم بكونها تل الطابغة المدعو تل العريمه الواقع غربي تلحوم على شاطيء البحيرة الشمالي وعلى راس سهل المجدل اي سهل جنيسارة القديم. وقد ظن الدكتور طمسن صاحب الكتاب الشهير « البلاد والتوراة » ان اسمها اي الطابغة مشتق من الاصل العربي (دباغة) ولذلك قال انها مدبغة كفر ناحوم و يوافقه على قوله كثيرون الى يومنا هذا. حالة كون الطابغة محرفة من « هبتاغون » الينابيع السبعة وهي الينابيع الغزيرة التي اشار اليها يوسيفوس في كفر ناحوم بكونها كانت تسقي القسم العلوي من سهل جنيسارة وتجعله غاية في الخصب . ولم يزل قسم كبير من آثار قناتها منقورًا في صخر صلب يشهد بصحة رواية يوسيفوس الى مئات من الاجيال بعدنا قبل ان تقوى عوامل الطبيعة على درسه . وربما ان رنان لم يشاهد هذه الينابيع ولا قناتها حتى راح يحوم بين عين المدورة وعين التينه اللتين لا يمكن تطبيقهما على رواية يوسيفوس. ولا عجب فان كثيرين من السياح لا يرونها لجهل تراجمتهم اهمية ما يتعلق بها من الحقائق التاريخية

واما الطريق القديمة التي يذكرها رنان بالقرب من تلحوم فهي بعيدة عنها وقريبة من تل العريمه (كفر ناحوم) وهي الطريق القديمة التجارية بين الشام والمدن الشمالية والقدس

والكرك و بلاد العرب ومصر · ولذلك كان الجباة يقيمون في كفر ناحوم لاخذ رسوم البضائع من القوافل التي كانت تمر بتلك الطريق · ولا اظن قول يوسيفوس هذا المؤيد بالبراهين الحسية يقبل الرد· وقد باحثنا بهذا الخصوص عدة من علماء الآثار فوافقونا على راينا الا من كان منهم شديد الاستمساك بالتقاليد فانهم اظهروا اضطرابهم في ذلك ورغبتهم في زيادة الفحص عنه · وقد وعد بعضهم بالكتابة لنا عن نتيجة ابحاثهم ومر على تلك الوعود ازمان دون انجاز — ولقد اكتشفت قرية كورزين ولعل مكتشفها هو الدكتور رو بنصن العالم المدقق الذي اكتشف عدة اكتشافات مهمة كانت مجهولة تماماً قبل سياحته في البلاد· وهي تعرف باسم (خربة كرزا) واقعة على مسافة ميلين ونصف الى الشمال من تل العريمه (كفر ناحوم) وفيها بئر ماء و بعض خرابات متهدمة حتى اساساتها

واما طبريا فاني ابقي الى فرصة اخرى الخوض في تاريخها القديم والحديث وسبب عدم دخول السيد اليها وعدم ذكرها في ثلاثة من الاناجيل واحوالها الحاضرة وما يمكن ان تصير اليه

﴿ الجامعة ﴾ نشكر جناب الكاتب لاتحافه الجامعة بهذه الرسالة · ولكن لنا عليه عدة اعتراضات · منها ان رنان لم يذكر ان ولاية الجليل هي غولونيتيس ولكنه سمي يهوذا الغولونيتي « بالجليلي » كما كان يسميه معاصروه وكما سماه مؤرخو اليهود انفسهم على سبيل المتابعة · والدليل على ان رنان لم يكن « يجهل » ما ذكره جناب صاحب المقالة من ان غولونيتيس» واقعة شرقي بحيرة طبريا » قوله في الصفحة المذكورة آنفاً السطر ١٢ (احدهما يدعي يهوذا « يريد الغولونيتي » وهو من قرية جماله القائمة في شرقي بحيرة طبريا »

واما قوله ان دلمانوثه « واقعة في منتصف الطريق بين طبريا والمجدل فهو رأي فيه نظر · فان مرقص يقول« وللوقت دخل السفينة مع تلاميذه وجاء الى نواحي دلمانوثه »وذلك يرجح ان دلمانوثه كانت على شاطىء البحيرة · وقد نفى بعضهم بهذا الدليل ما زعمه طمئن من ان دلمانوثه واقعة في مكان يدعى اليوم « دالاميا » او دالاميا وهو على مسافة ساعة ونصف من مفترق الاردن عن البحيرة على شاطىء الاردن نفسه — واما كورزين فان رنان ذكرها في حاشية في كتابه وضربنا نحن صفحاً عنها رغبة في الاختصار · فانه قال في الحاشية ان العلماء بالآثار يضعونها في مكان يُدعى اليوم كورازي او بئر كرازي ولعله « خربة كرزا » التي اشار اليها جناب الكاتب — واما كفر ناحوم فراي المراسل فيها غير

بعيد . ولكننا نخبره بانه اخطأ في تعنيفه رنان لعدم مشاهدته « عين الطابغة » فانه شاهدها وكتب عنها في الصفحة ١٤٥ سبعة اسطر هذه ترجمتها « وعلى مسافة ربع ساعة من هناك عين ماؤُها مالح تُدعى عين الطابغة وهي تنبع من الارض من عدة منابع واسعة على مقربة من البحيرة وتصب فيها . وعلى مسافة ٤٠ دقيقة منها بعض اكواخ وخرائب تدعى تل حوم » فمن ذلك يظهر ان عين الطابغة قريبة من تل حوم وحينئذ تكون تل حوم هي « كفر ناحوم » التاريخية وعين الطابغة هي الينابيع السبعة التي كانت تسقيها . وقد ذكر رنان هذا الراي في احدى حواشي الكتاب على سبيل الترجيح لا التقرير لانه لا يقرر شيئاً الا اذا كان على يقين منه

الهواء الاصفر في القطر المصري

لحضرة الفاضل الدكتور عارف افندي نحاس احد اطباء محاجر الطور في العام الماضي

في اواسط شهر يوليو ارتجت ارجاء مصر لظهور الهواء الاصفر بغتة في بلدة موشه (الوجه القبلي) و بلوغ اصاباته فيها ٩٥ اصابة في يوم واحد مع ان عدد سكانها لا يتجاوز ثمانية الاف نفس . و بعد وقت وجيز وصل هذا الوباء الى العاصمة فهلعت القلوب واضطربت النفوس واشتد الخوف بالناس حتى اخذوا يتعلقون باذيال الفرار افواجاً افواجاً وهم لا يلوون على شيء . فقام اطباء الصحة حماة الاجسام والارواح يصدون هجماته و يدفعون ضرباته . اما عدد منكو بيه منذ ظهوره لغاية ٢٥ الجاري (اغسطس) فهو في جميع مديريات القطر ٤٢٧٨ اصابة و٣٢٤٤ وفاة واما الذين شفوا منه فلا يتجاوز عددهم ٣٢٢ شخصاً

﴿ اكتشاف ميكروبه ﴾ ويحسن بنا هنا ان نقابل هذا الوباء بالهواء الذي حدث في مصر في عام ١٨٣١ . فقد بلغت الوفيات به في ذلك العام ٢٥٠٠ نفس في كل يوم . ولذلك حصد ٥٥ الف نسمة في مدة اربعة اشهر . فتامل . وسبب ذلك ظاهر كالشمس للعيان فقد كان العلم يجهل حقيقة الوباء وكيفية سيره وكانوا يحسبونه هواء يتطاير في الفضاء ولذلك كانوا يحرقون في الفضاء بعض الخرق ملوثة بمواد مضادة للفساد ليلاشوا ذلك الهواء . وهكذا كانوا يصنعون ايضاً في سنة ١٨٨٣ حين عودة الوباء الى القطر وفتكه فيه فتكاً

ذريعاً كالوباء الذي نقدمه · الا انه في هذا العام (١٨٨٣) تالفت لجنة المانية من الدكاترة كوخ وفيشر وغافقي لفحص الهواء الاصفر وقدمت هذه اللجنة الى القطر المصري فاكتشفت لهذا الوباء ميكروباً صغيرًا · ثم سار الدكتور كوخ الى الهند وزاد بحثاً وتنقيباً في الوباء هناك فوجد ان الميكروب الذي وجده في ديار مصر هو نفس الميكروب المنتشر في اصقاع الهند · وهكذا اكتشف كوخ اكتشافاً عظيماً

﴿ منشأ الوباء في الهند ﴾ اما منشأ هذا الوباء الخبيث فهو وادي الكنج في بلاد الهند فان الهنود الوثنيين يعتبرون هذا النهر نهرًا مقدساً يصب في الجنة كما يقولون ولذلك يلقون فيه جثث امواتهم ملفوفة باوراق النباتات والاشجار · فتطفو هذه الجثث على وجه الماء سابحة صاعدة الى «المكان الابدي» والحقيقة ان النهر حين فيضانه يقذفها على شواطئه مع جميع الاقذار والاوساخ التي تُلقى فيه فتتراكم في الوادي بعضها فوق بعض فيدب اليها الفساد والنتن فتنشاء فيها ميكروبات عديدة منها ميكروب الكوليرا · ولذلك يُعدُّ هذا الوباء «محلياً» في الهند · ومما يساعد الاوبئة على الانتشار هنالك حالة الهواء والاقذار · وقد احصى اوتسلي من سنة ١٨١٧ الى سنة ١٨٤٠ — ٤٤٣ وباء هاجمت تلك البلاد فحصدت منها ١٨ مليون نفس · ولعمري انه لو تالبت الدول جمعاء بمدافعها الجهنمية وعددها الهائلة وقاتلت بعضها بعضاً لما بلغت قتلاها هذا العدد

﴿ انتشاره من الهند الى الخارج ﴾ ويتصل تاريخ اكتشاف هذا الوباء في الهند بتاريخ دخول الاوربيين اليها سنة ١٨١٧ · ثم انتشر في الاقطار منذ عام ١٨٣٠ وكان انتشاره بطريق البر فوفد الى هندستان ومنها الى افغانستان وجنوبي ايران وروسيا ومن هناك دخل اوربا · وفي سنة ١٨٦٥ اخذ ينتشر عن طريق البحر في سفن الملاحة · على ان افتتاح ترعة السويس سهل له سبل الانتشار وهذا ما راع الدول واخاف العالم المتمدن خوفاً عظيماً فعقدت مؤتمرًا في فينا سنة ١٨٨٧ للنظر في الوسائل الواجب اتخاذها اتقاء لهذا الوباء · فاشار بعضهم باقامة المحاجر في السويس لصد هجماته ورد غاراته فقام آخرون وفي مقدمتهم بتنكوفر الانكليزي وعارض هذا الراي مكتفياً بما تجريه البلاد من الامور الصحية · فتصدى لهم برواردل الطبيب الفرنسوي قائلاً : اذا كانت المحاجر لم تمنع انتقال الكوليرا واتخذتم ذلك دليلاً على وجوب الغائها فذلك بمثابة قولكم : بما ان الحصون والقلاع لا تصد هجمات العدو المهاجم فانه يجب هدمها

﴿ ميكروب الوباء ﴾ اما ميكروب الوباء فهو جسم حي صغير جدًا لا يُرى بالعين



منظره الطبيعي في القيء والبراز

ميكروب الكوليرا

المجردة وهو بشكل الواو او الضمة ولذلك سموه « واوياً او ضمياً » وهو يتحرك حركات سريعة وهذا الميكروب موجود في براز الموبوء وقيئه وكلما مسّ هذا البراز والقيء ٠ وهو يعيش زمناً طويلاً فقد اخذ الدكتور كوخ بعد مرور ٨١ يوماً على انقطاع الوباء في مرسيليا قليلاً من ماء البحر في مرفاءها وفحصه فحصاً بكتريولوجياً فوجد الميكروب عائشاً فيه ٠ ومن خواص هذا الميكروب انه يعيش وينمو ويتكاثر في الامتعة والمحلات الرطبة والمياه الراكدة ومياه الشرب ٠ ولكن حركته تقف عند الدرجة العاشرة من الحرارة ٠ وهو يعيش في درجة ١٦ ويزداد فتكاً وتكاثرًا في درجة ٣٠ الى ٣٧ وقلما يعيش في درجة ٥٠ ويموت موتاً سريعاً في درجة ٧٥ ٠ وله عدو لدود وخصم عنيد وهو الحوامض فهي له كالسم القاتل٠ وقد حقق ذلك الدكتور كلين خصم الدكتور كوخ وذلك انه اخذ كاس ماء مملوءة من ميكروبات الكوليرا وعصر فيها حامضاً ثم شربها فلم يضره شيء ٠ على ان حوامض المعدة تهضم الميكروب وتميته اذا كانت بحالة الصحة والانتظام اما اذا حصل عسر هضم او تلبك في في المعدة صعبت اماتته لقلة الحوامض فيها ٠ وكثرة المياه في المعدة تسهل له الطرق للعبور الى الامعاء حيث ينمو ويتكاثر فيفرز سموماً قتالة

﴿ اعراضه وطرق العدوى ﴾ اما طرق العدى فمن البراز والقيء لاحتوائهما على الميكروب الذي تقدم ذكره ٠ ومنها يتصل الميكروب بما يلامسه ويباشره كالماء والطعام والفاكهة والامتعة الخ ٠

واما الاعراض فهي تحدث غالباً على ثلاثة ادوار الدور الاول« الطور المنذر » وبيان ذلك ان الانسان يكون في حالة العافية والصحة واذ يفاجئه القيء والاسهال ويكون ذلك في الليل على الغالب فيشعر المصاب بمغص اليم ثم يتزايد الاسهال بدون اوجاع ويكون ذا مواد سائلة صفراء اللون كريهة الرائحة ٠ وقد تمر بضعة ايام على هذه الحالة ثم تنتهي اما

بالشفاء بواسطة العلاج والاعتناء او بالانتقال الى الدور الثاني وهو « الدور الجليدي » ففي هذا الدور تتزايد دفعات الاسهال وتصير ذات مواد مصلية بيضاء كمغلي الارز بدون آلام ثم يبتدئ القيء اصفر اللون او ابيضه فيه كثير من الماء ممزوجاً بمواد مخاطية وغشائية. وقد يزداد عطش المريض ويشعر باحتراق شديد في بطنه ومعدته وجميع جسمه مع ان حرارته تكون حينئذ تحت المعدل

وفي هذه الادوار كلها يمكن الشفاء متى حصل رد فعل . وذلك يتم بارتفاع الحرارة في الجسم واعادة وظائف الاعضاء الى مجراها الطبيعي شيئاً فشيئاً

﴿ الوقاية ﴾ قيل الوقاية خير من العلاج فعليك اذاً الاعتناء بحفظ المعدة سالمة من التلبك وسوء الهضم . فلا تكثر من الطعام . امتنع عن المسكرات . اف معدتك بحزام من صوف . لا تاكل طعاماً الا اذا كان مطبوخاً وخفيفاً على المعدة . لا تتناول من المشروبات سوى قليل من الكونياك الجيد او النبيذ والقهوة والليموناده والكازوزه . امتنع عن اكل اللحوم المقددة والاسماك المملحة المكبوسة وسائر المكبوسات والاثمار الغير الناضجة. لا تاكل شيئاً من غير ان تغسل يديك بالصابون المصنوع مع الفنيك . لا تشرب ماء الا بعد غليه جيداً وتبريده بالهواء او ان تضع في كل لتر من الماء ٦٠ سنتيغراماً من الحامض السيتريك او ان تقتصر على المياه المعدنية . اجتنب التعب الشديد والسهر الطويل وما وراءه . وانت اعلم بما وراءه

اما منزلك فاول كل شيء يجب عليك فيه هو تنظيف (محلات الراحة) وصب الحامض الفينيك التجاري فيها . واجعل كل غرفة في اتم نظافة وافتح نوافذه طول النهار واغسل جسمك كل يوم مرة واجعل ثيابك في اتم نظافة

ومتى شعرتَ باقل اسهال او قيء او مغص فالزم فراشك في الحال واستدع الطبيب. ولتكن في جيبك زجاجة من اللودونوم واخرى من روح النعنع لتاخذ منها عشر نقط اول شعورك باعراض الوباء

﴿ علاجه ﴾ كثرت علاجات هذا الوباء منذ انتشاره في العالم وكلها لم تاتِ بالنتيجة المقصودة . فقد عالجه بعضهم بالمسهلات وبعضهم باعادة الحرارة الى الجسم بالدلك او بالحمامات الحارة او الباردة وبعضهم عالجه بالزرنيخ والستركتنين وماء الفضة . اما الدكتور كلبير فانه اضعف ميكروب الوباء بواسطة الحرارة والهواء ثم لقح بعض الحيوانات به واستخرج منها مصلاً حقن به الانسان فلم تنجح التجربة . ثم قام الدكتور كنتاني

الايطالي وعالج المرض حقناً في المستقيم بحامض التينيك الذي هو اشد الادوية فعلاً في قتل ميكروب الكوليره وطرد سمومه من الامعاء فنجح بعض النجاح . وبعد ذلك استعملوا السالول في معالجته فنجح كثيراً وهو الآن كثير الاستعمال في الهند . وكثيراً ما يسري سم الميكروب في كل الجسم فيفتقر الدم الى مادة تطهره وتعيد اليه ما خسره من المصل فيحقنون المريض حينئذ بمصل صنعه الدكتور حايم الفرنسوي وهو مركب من ماء مقطر وملح وكبريتات الصودا . والله الواقي في كل حال وعليه الاتكال

رنان وانكاره العجائب

﴿ العقل والقلب ﴾ وردنا مع بريد سوريا منذ مدة مقالة طويلة عنوانها « رنان والعجائب والدين » وتوقيعها « خادم الانسانية » اما موضوع هذه المقالة فهو الردّ على ما ذكره رنان من انكار العجائب ومحاولة اثباتها من طريق العقل . وقد ساءنا ما ذكره كاتبها في صدر كلامه من انه سمع من بعض مواطنيه ان الجامعة لا تقبل رداً على هذا الموضوع . وانما ساءنا هذا القول لان الجامعة لا تقفل باباً لها دون الردود النزيهة التي لا يقصد بها اصحابها الا اظهار الحق ومدافعة الدليل بالدليل . ولكن متى خرج الكلام عن دائرة الدليل والبرهان فانها تضطر الى اهماله او الى حذف ما كان فيه مخالفاً لذلك المبداء . كما صنعنا في الرسالة التي نحن الآن في صددها

ثم ان البرهان في هذه المسائل قسمان : قسم نسميه « برهان عقلي » وقسم نسميه « برهان قلبي » فالبرهان العقلي مبني على قاعدة الفيلسوف باكون وهي الاختبار والمشاهدة والامتحان . ومعنى ذلك ان لا نعتبر الشيء حقيقياً الا متى جربناه عدة مرات وادى الى نتيجة واحدة . واما « البرهان القلبي » فهو شعور الانسان بالامر مع عدم قيام الدليل العقلي عليه . كشعور كل نفس بوجودها الذاتي وشعور القلب بلذة الخير والفضيلة والصلاح وهي الامور التي كثيراً ما تهكم عليها العقل وحسبها ناشئة عن التربية والعادة لا عن وجدان الانسان نفسه

ومن ذلك يتضح الفرق بين « البرهان العقلي » و « البرهان القلبي » . ولذلك نرجو مع جميع محبي خير الانسانية في الارض ان لا يسطو هذان البرهانان احدهما على الآخر بل ان

يبقى كل واحد منهما في دائرته : الفلسفة والعلم في دائرة العقل · والدين في دائرة القلب· وكل واحد من الاثنين نافع وضروري للانسانية متى كان منزهاً عن الشوائب· ولا سبيل لاثبات احدهما من طريق الآخر لان وظيفة الواحد منهما تختلف عن وظيفة الآخر · ولذلك اخطأ جناب كاتب الرسالة في ما حاوله من اثبات الامور الدينية من طريق العقل لان المقدمات التي بنى عليها نتائجه لا تسلم من الردّ « عقلياً » · وقد كان في غنى عن كل ردّ بان يقول مثلاً : قلبنا يؤمن بذلك وكفى

وبناءً على ذلك نقول انه ليس شيء اوقح من العقل متى رام الضغط على القلب وانكاره كما انه لا اوقح من القلب متى رام الضغط على العقل لسدّ طريقه · وهذا الفصل بين « القلب » و « العقل » واجب في كل دين وكل مذهب لا في دين مخصوص ومذهب مخصوص· فعلى اصحاب العقل ان يسمعوا صوت القلب من غير ان يسخطوا عليه وعلى اصحاب القلب ان يسمعوا صوت العقل من غير ان يحملوا عليه · ذلك لانه لا ينشأ عن احتكاك هذه « الاصوات » الا كل خير للانسانية · فما كان من الارض يسقط ويفنى وما كان من السماء يقوم ويقوى · والجامعة لا تألو جهداً في ترديد هذين الصوتين والتوفيق بين هذين المبدأين ليختار القارئ المبدأ الذي يلائم طبيعته من غير اكراه ولا اجبار · والدليل على ذلك انها نشرت « بولس وفرجيني » (جهة القلب) في الجزء الذي نشرت فيه « تاريخ رنان » (جهة العقل) · وهي لا يهمها في هذا السبيل سخط او رضى من اي جانب كان لانها تعتقد انها بذلك تخدم الفكر البشري في الشرق خدمة صارت واجبة وانها في الطريق القويم

اما الرسالة التي ردّ بها « خادم الانسانية » على قول رنان في العجائب (المعجزات) فهذا اهم ما ورد فيها :

«ان مسالة العجائب مسالة تاريخية لا عقلية ·فهي من الوقائع اليومية · والدليل الذي تحتاج اليه هو الدليل التاريخي · وقد اثبت التاريخ كثيراً من الوقائع التي ما كان العقل يصدقها لولا حدوثها · مثلاً اي عقل يصدق ان الاتان تلد ابنة ومع ذلك فقد شوهد هذا الامر ··· اي عقل يصدق باشتعال النار تحت الماء ولكني شاهدته عياناً لما اتصل الحامض النيتريك بالفصفور · والعقل لا يصدق ايضاً ان اسفل السفينة يُثقَب ولا تدخلها المياه ومع ذلك فقد قرأت الحادثة منذ مدة في احدى المجلات العلمية العربية · فان كاتب

المقالة غاص في احدى الغواصات مع مخترعها في جوف البحر ولما تكاثف الهواء المضغوط في غرفة في الغواصة فتح فيها باباً على الماء وهي في قعر البحر فصار الماء واقفاً لدى الباب والباب مفتوح دون ان يدخل الماء فيه . فالعقل يحكم في الممكنات بحسب اختباراته اما في الوقائع فالحكم للشهادة لا للعقل وليس على العقل حينئذ الا ان يسكت او يؤمن . ولو اخبروا الزنجي في اواسط افريقيا ان المياه تتجمد وتتصلب بحيث تدوسها الخيول وتجري عليها المركبات ولا تغرق فيها لقال لك ان العقل لا يصدّق ذلك . ولكنك متى اخذته الى مدينة اركنجل او كويبك وشاهد ذلك بعينه لصدقه وحسبه امرًا اعتيادياً . ويروى ان فولتير لما سمع بما ارتآه نيوتن من « ان العقل البشري سيبلغ مبلغاً يتمكن فيه من قطع ٥٠ ميلاً في الساعة » هزأ به وحسبه حديث خرافة . افيستطيع فولتير اذا فتح عينيه اليوم ان ينكر سير قطارات البخار ٥٠ ميلاً الى ١٠٠ ميل تقريباً في الساعة

وبما ان العجائب الواردة في الكتب المقدسة حوادث تاريخية فيجب ان يكون حكمها حكم الوقائع التاريخية . ومتى ثبتت فلا يهمنا امر مطابقتها للنواميس الطبيعية او عدم مطابقتها كما انها لو عدمت الاثبات التاريخي لما افادتنا شيئاً مطابقتها تلك النواميس وتصديق العقل اياها

وقد قال رنان « اذا كانت العجائب صحيحة فلماذا لا تحدث الآن في قلب باريز عجيبة كبيرة تفتح عيون الذين لا يصدقون وتجعلهم يصدقون »

فنقول ليس هذا الاعتراض اعتراض فيلسوف ولكني لا اظن ان الفيلسوف يستطيع ان يعترض اعتراضاً امتن منه ضد العجائب وجواباً عليه اقول

لنفرض ان العجيبة التي يقترحها رنان قد حدثت في وسط باريز وقد شاهدها بنفسه . فعلى كل حال يكتب عنها رنان بقلمه الرنّان . فلنفرض انه كتب عنها وارسل هذا الكتاب الى سوريا فهل يريد منا ان نصدقه . ولكن لماذا لا نصدقه وهو رجل مخلص وقد كتب ما رآه عياناً . اذاً فلماذا لا يصدق رنان الذين كتبوا قبله

ولنفرض ان كتاب رنان الشاهد بحدوث المعجزة في باريز انتشر في العالم انتشار الانجيل فهل تُحسب شهادة رنان المكتوبة اضعف من شهادته الشفاهية . كلا . وغاية ما يُطلب لاعطائها قوتها امران : الاول ان تكون بالحقيقة كتابة رنان والثاني ان يكون رنان كتب عما رآه بنفسه وهذا هو الواقع في البشائر بالتمام

ولنفرض ان الناس عموماً قبلوا كتاب رنان هذا . ومات رنان واهل عصره وبقي كتابه

بين ايدي الجمهور مدة الفي سنة . وبعد هذه المدة الطويلة نبغ فيلسوف آخر اسمه رنان — وقد بلغ الناس يومئذ في العلوم والمعارف اسمى الدرجات وارتقى العقل البشري حتى صار علماؤنا يعدون اميين بالنسبة الى علماء ذلك الزمن — فقام رنان الجديد المفروض وانكر شهادة رناننا هذا ليس لارتياب فيه ولا لقيام البينات التاريخية ضده ولا لسبب آخر بل لان العقل لا يصدقها . فماذا نعمل . انرجع عن الشهادة العيانية الثابتة مدة الفي سنة اكراماً لرنان الجديد

ثم لو نشر رنان هذا شهادته في الصحف الاخبارية وصدقها جميعهم الا ينشرون مئات من المقالات لتعليل الحادثة تعليلاً ينطبق على النواميس الطبيعية . وبعد ذلك الا يبقى محل للاعتراض على شهادة رنان . الا يقول قائل : اذا كانت العجيبة صحيحة فلماذا لا يحدث اليوم مثلها في براين وروما وفينا

ثم انني انظر الى المسالة من وجه آخر فالقي الاسئلة التالية

اولاً هل ما نسميه نواميس طبيعية هي عوامل او كيفيات تجري المادة بحسبها

ثانياً اذا كانت كيفيات (كما لا بد ان تكون) فما هو الفاعل فيها

ثالثاً اذ كان الفاعل فيها هو الخالق افلا يلزم عن ذلك انه متسلط عليها

رابعاً اذا كان ذلك كذلك افلا ينتج منه ان العجائب ممكنة عقلاً

خامساً اذا كان كل ما تقدم معقولاً فما المانع من حدوثه فعلاً . افلا يكون حدوثه مطابقاً لما يليق باوصافه الجليلة

سادساً هل يجوز ان نتخذ اختباراتنا الجزئية اساساً لنفي الوقائع

﴿ خادم الانسانية ﴾

نقول . ربما كانت هذه الادلة اقوى الادلة العقلية على صحة العجائب . ولكن رنان يرد عليها بقوله

« ربما يقولون انه اذا كان من المستحيل اقامة دليل عقلي على حدوث العجائب فمن المستحيل ايضاً اقامة دليل عقلي على عدم حدوثها . فنجيبهم « ان البينة على المدعي » لا على سواه . ولو جاء قوم الى يفنون العالم الطبيعي وقالوا له ضع الغول والعنقاء في سلك الحيوانات فبماذا يجيبهم . انه يجيبهم اروني اياها اولاً والا فانني لا اعتقد بها . وان قالوا له اقم دليلاً

على عدم وجودها فانه يجيبهم لا محالة: « بل عليكم انتم ان تقيموا الدليل لا عليّ »

« واذا قالوا ان الانسان عجيبة من العجائب لانه لم يُخلق الا بقدرة الله ومَن صنع هذه العجيبة فانه يصنع غيرها ايضاً . فالجواب عن ذلك ان هذا القول يغيّر وجه المسالة فان كل شيء مجهول يصير بمقتضاه عجيبة من العجائب . ان الشمس تكون حينئذ اعجوبة لان العلم لم يعرف بعدُ ماهيتها حق المعرفة . وتكوّن الانسان في بطن امه يكون عجيبة ايضاً لان الفسيولوجيا لم تعرف بعدُ كما نريد معرفته عنه . والضمير في الانسان عجيبة ايضاً لانه لا يزال سرّاً من الاسرار الغامضة . وهكذا يصير كل مجهول عجيبة . فهل هذه هي العجائب . كلا وانما معنى العجيبة الحقيقي وتعريفها الصحيح « خروج النواميس المعروفة عن نظامها الثابت بواسطة ارادة خصوصية » واذا قيل ان الله خالق هذه النواميس كائن في كل الكائنات وهو الذي يمد يده القادرة ويُخرجها اذا شاء عن نظامها المالوف الثابت فنجيب ان من معتقدنا ان الله كائن في كل الكائنات ولكننا لا نعتقد انه يُخرجها عن نظامها المالوف اذ لم يثبت انه صنع ذلك . واذا قيل انه صنع هذا الصنع في زمن مضى ولا يعود قلنا ان هذا القول انما هو بمثابة الاختباء وراء غيوم الماضي » راجع الجامعة السنة الثالثة الجزء السابع الصفحة ٤٥٧

ومن ذلك تظهر صحة ما ذكرناه في صدر الكلام من ان اصحاب القلب لا يظهر ضعفهم اشد ظهور الا متى راموا اقامة الدليل من العقل على القلب ولا يكونون في اشد قوتهم الا متى اجتنبوا الخروج عن دائرة القلب الى دائرة العقل

شرقي يرثي الشرق

بعد مطالعته تاريخ العرب في الاندلس في الجزء الاول من الجامعة وترجمة ابن رشد في الجزء الثامن

تمايل ذا الدهر حتى اضطربْ ... وقد ينثني العطف لا من طربْ
ومرّ زمان وجاء زمان ... وبين الزمانين كل العجب
فقوم تدلوا لتحت الثرى ... وقوم تعالوا لفوق الشهب
لقد وعظتنا خطوب الزمان ... وبعض الخطوب كبعض الخطب

ولو عرف الناس لم تهدهم — سبيلَ المنافع الا النوب
فيا ربّ داء يكون دواء — اذا عجز الطب والمستطب
ومن نكد الدهر ان الذي — ازال الكروب غدا في كرب
وان امرءا كان في السالبين — فاصبح بينهم يُستلب
الستَ ترى العرب الماجدين — وكيف تهدم مجد العرب
فاين بناؤهم المشمخرّ — واين العماد واين الطنب
واين الذي رفعته الرماح — واين الذي شيدته القضب
واين شواهق عزٍ لنا — تكاد تمس ذراها السحب
لقد اشرق العلم من شرقنا — وما زال يَضؤل (حتى غرب)
وكنا صعدنا مراقي المعالي — فاصبح صاعدنا في صبب
وكم كان فينا ذوو همة — سمت بهم لمعالي الرتب
وكم من هزبر تهز البرايا — بوادره ان ونى او وثب
واقسم لولا اغترار العقول — لما كف اربابها عن ارب
ولولا الذي دبّ ما بينهم — لما استصعبوا في العلا ما صعب
ومن يُطعم النفس ما تشتهيه — كمن يطعم النار جزل الحطب
الا رحم الله دهرًا مضى — وما كاد يبسم حتى انتحب
وحيّى ليالي كنا بها — رعاةً على من نأى واقترب
فلكاً ثقيل اذا ما كبا — وعرشاً نُقيم اذا ما انقلب
سلوا ذلك الشرق ماذا دهاه — فارسله في طريق العطب
لو ان بنيه اجلّوا بنيه — لاصبح خائبهم لم يخب
فقد كان فيهم مقر العلوم — وقد كان فيهم مقر الادب
وهل تنبت الزهرَ اغصانه — اذا ماء كل غدير نضب
وهل (كابن رشد) على فضله — يُسام الهوان وسوء النصب
كأنْ لم يكن صدره منبعاً — لما كان من صدره ينسكب
ومن يستبق للعلا غاية — فاولى به من سواه التعب
وليس بضائر ذي مطلب — اذا كفه الناس عما طلب
فكم من مصابيح كانت تضيء — بين الرياح اذا لم تهب

وما عِيب من صدف لؤلؤ ... ولا عاب قدر التراب الذهب

بني الشرق اين الذي بيننا ... وبين رجال العلا من نسب
لقد غابت الشمس عن شرقكم ... الى حيث لو شئتمُ لم تغب
الى الغرب حيث اولاء الرجال ... وتيك العلوم وتلك الكتب
فان كان هذا بحكم الزمان ... فتبت يدا ذا الزمان وتب
وان كان مما اردتم فلا ... تنال العلى من وراء الحجب
فدوروا مع الناس كيف استداروا ... فان لحكم الزمان الغلب
ومن َعاند الدهر فيما يحب ... رأى من اذى الدهر ما لا يحب

مصطفى صادق الرافعي الطرابلسي

رد امام جليل

﴿ على مقالة الجامعة في ابن رشد ﴾

(ورد الجامعة على الرد)

نشرنا في الجزء السابق ترجمة ابي الوليد بن رشد فيلسوف الاندلس واشهر فلاسفة الاسلام . وقد كان غرضنا من هذه الترجمة الدخول الى دار الفلسفة من باب كبير لتوجه الانظار اليه احياء لهذه الصناعة المهملة . فيظهر مما كان لتلك المقالة من الاهمية اننا قد اصبنا الغرض المقصود

فاننا بينما كنا نشتغل بكتابة ترجمة حجة الاسلام ابي حامد الغزالي فيلسوف المتكلمين الاكبر الذي فاق « من جهة القلب » كل فلاسفة العرب كما فاقهم ابن رشد « من جهة العقل » (١) واذ وردنا من القاهرة من امام جليل طبقت شهرته العالمَ العربي ردٌّ على مقالة ابن رشد . فارتحنا الى تلاوة هذا الرد لامرين : الاول لاننا مولعون بمطالعة كل ما يُكتب عن هذا الفيلسوف والثاني لان فضيلة الاستاذ صاحب الرد هو الثقة الذي يُرجع اليه في هذه المسائل . ولقد دفع الاستاذ هذا الرد ايضاً الى مجلة المنار الاسلامية الغراء التي تُطبع في العاصمة وعنها اخذتها رصيفتنا جريدة المؤيد الغراء . وبما ان جميع القراء

(١) اطلب تفسير « جهة العقل وجهة القلب » في هذا الجزء الصفحة ٦٢٠

في العالم العربي قد اطلعوا عليه بعد نشره في جريدة المؤيد المنتشرة في كل الافطار فقد اكتفينا بذكره في الجامعة ذكرًا يطلع القراء على اهم اغراضه وبخاصة الامور التي خطأ الاستاذ الجامعة فيها لتتمكن الجامعة من اظهار حقيقة معناها وايضاح الاشكال فيها . وا نا نقول الرد عليها لان علم الاستاذ الجليل اوسع من ان يواجه برد . فنقول

افتتح الاستاذ رده على الجامعة بقوله انه استاء من فصل ورد في المقالة عن « الاضطهاد في النصرانية والاسلام » ثم قال « لاقاني بعض قراء تلك الترجمة فرايت الاثر في نفسه اشد . ولسانه في العتب احد . وذكر اشياء في غير هذا الفصل من الترجمة ولفتني الى اعادة النظر فيها . رجعت الى الترجمة فوجدت فيها موضعين آخرين يطلبان مني الكلام عليهما . وبان احادث الجامعة فيهما . لو كانت منزلة الجامعة من نفسي منزلة غيرها من المجلات التي لا يعنى كاتبوها الا بنقل ما يقع تحت انظارهم . او تحبير ما يعبر عن اهوائهم وافكارهم . من دون عناية بتقرير الحقيقة . ولا رعاية لمعتقدات القراء — لوجدت من شواغل عملي ما يصرفني عن ذكر ما عرض فيها . لكنها من المجلات التي لو اهملت مباحثها من انعام النظر وجعلتها في جانب عما تستحقه من النقد لبخستها حقها . ونبوت بها عن موضعها

« لهذا رايت ان اذكر لها ما رايت في ذينك الموضعين وابين حقيقة الامر في الثالث . اما الموضعان فهما (فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود) و (فلسفة ابن رشد وآراؤه في خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الانسان به والخلود) وهما موضوع كلامي اليوم »

وبعد ذلك اندفع الاستاذ في الكلام على فلسفة المتكلمين وحدوث المادة واختيار الخالق واثبات الرابطة بين الاسباب ومسبباتها في مذاهب المتكلمين وراي ابن رشد في المادة وخلق العالم واتصال الانسان بالخالق سبحانه وتعالى . ثم ختم هذا الرد الذي يستغرق عشر صفحات في الجامعة بقوله « ولعل الجامعة لا تعتب على الكاتب فيما كتب وفيما اجاب به من طلب فقد وفى حقًا لها لو اغفله مع علمها بالقدرة عليه لحق لها ان توجه العتب اليه » وبعده هذه الخاتمة « هذا ما اردنا ايجاز القول فيه متعلقًا بفلسفة المتكلمين وراي الفيلسوف وسنتبعه بمقال آخر فيما حكمت به الجامعة في الكلام على الاضطهاد في النصرانية والاسلام ان شاء الله تعالى »

فنحن بعد مطالعتنا هذا الرد بالامعان الواجب له وجدنا ان الاستاذ يخطئ الجامعة في الامور التالية . وقد اردنا حصرها ليسهل الكلام عنها . وهي في قسمين : قسم في الامور

الكلية وقسم في الامور الجزئية

﴿ الامور الكلية ﴾

اما الامور الكلية التي خطأ الاستاذ الجامعة فيها فهي

الاول — ان المتكلمين لا ينكرون الاسباب وان الخلاف بينهم وبين الفلاسفة في هذا الشان جزئي صغير

الثاني — ان ما ذكرته الجامعة عن فلسفة ابن رشد وآرائه في خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الانسان به والخلود لا ينطبق على حقيقة آراء الفيلسوف

الثالث — ان ما ذكرته الجامعة عن « العقل الاول » مخالف لمذهب الفلاسفة في « العقول »

هذه هي الامور الكلية التي خطأ الاستاذ الجامعة فيها واما الامور الجزئية فسنذكرها بعد الفراغ من تلك الامور . فنقول

﴿ الاعتراض الاول ﴾ قال الاستاذ ان المتكلمين لا ينكرون الاسباب وان الخلاف بينهم وبين الفلاسفة في هذا الشان جزئي صغير . اما نحن فنرى ان الخلاف كلي وان لباب الفلسفة يعارض لباب الكلام على خط مستقيم . واليك البيان

لا يخفى ان الفلسفة اليونانية هي اول فلسفة قررت للطبيعة نظاماً ونواميس . وقد بسط ذلك ايضاً لوكريس الشاعر اللاتيني في احد كتبه . ولذلك فان جميع الامم التي لم تعرف الفلسفة اليونانية والرومانية كانت تعتقد فيما يختص بحوادث الكون وتدبير العالم اعتقادات لا تنطبق على مبادىء الفلسفة . فلما شرع المنصور والمامون في نقل الفلسفة اليونانية الى اللغة العربية بترجمة الكتب اليونانية والهندية والفارسية راى علماء الكلام ان هذه الفلسفة منافضة لاصول الدين الاسلامي . فكان شانهم في ذلك شان علماء اللاهوت في الدين المسيحي عند وصول هذه الفلسفة اليهم بواسطة ابن رشد وتلامذته . فهبوا الى معارضتها ومقاومتها . ولذلك جاء في تعريف « علم الكلام » في « التعريفات » انه (كما بقي في الذهن) : علم البحث في الخالق وصفاته بحسب شريعة الاسلام لنقض اقوال الفلاسفة . وهذا التعريف وحده كافٍ للدلالة على ان علم الكلام جُعل بعد نشأته لنقض الفلسفة

وسبب ذلك ان لعلم الكلام في الدين الاسلامي (كما للاهوت في الدين المسيحي) اصلين عظيمين عليهما بُني الدين كله . وهما : ان المادة حديثة يعنون غير قديمة اي مخلوقة بخلق خالق . والثاني ان الخالق الذي خلقها منفصل عن الكون ومطلق التصرف فيه وعالم بجزئياته وكلياته . وبعبارة اخرى نقول ان المليين اي اليهود والمسلمين والنصارى يعتقدون ان هذا العالم مخلوق منذ مدة لا تتجاوز بضعة الاف من السنين كما جاء في كتبهم وان خالقه سبحانه وتعالى يعلم كل ما يحدث فيه من جزئي وكلي ويدبره بعنايته وارادته . ولذلك جاء في صلاة المسيحيين « فلتكن مشيئتك » وجاء في القران « والارض لله يورثها من يشاء » واجمل صلاة عند الفلاسفة المليين قولهم « اللهم اعطنا ما تشاء بقدر ما تشاء حينما تشاء » هذا هو اعتقاد المتكلمين واللاهوتيين في الخالق على وجه الاجمال . واما الفلسفة فانها تمحو بيدها الثقيلة الغليظة كل هذه الآمال الجميلة وان كان تعليمها لم يثبت بعدُ من حسن الحظ وفرقها مختلفة فيه . فانها تقول ان المادة قديمة ازلية وان للطبيعة نظاماً ونواميس ثابتة لا تتغير . وان الكون لم يوجد الا بحسب هذا النظام وتلك النواميس . وان هذه النواميس اذا اتبعها المجوسي مثلاً وخالفها الكتابي (الاسرائيلي او المسلم او المسيحي) فاز المجوسي وسقط الكتابي . وبالعكس . هذا سبب الخلاف الاعظم بين الفلاسفة والمتكلمين واللاهوتيين مذكور بعبارة بسيطة وهو ما قصدناه حين المقارنة بين الفيلسوف ابن رشد والمتكلمين

وعلى ذلك فمسالة الرابطة بين الاسباب والمسببات لم تعد بعد هذا البيان مسالة جديرة بالذكر والاهتمام . لان جاحد الاسباب يستطيع مثلاً ان يعتقد بها في الظاهر ويبقى على اعتقاده القديم من جحود حقيقتها في الباطن . مثال ذلك ان يقول « ان الخالق هو الذي جعل تلك الاسباب . فمتى حدثت الحوادث ونسبناها الى اسبابها كان ذلك بمثابة نسبتها اليه » وهو تخلص مألوف . ولكن هل يستجيز المليون وفيهم المتكلمون القول « بان الخالق لا يمكن ان يناقض تلك الاسباب ولا ان يغيرها لانها ثابتة لا تتغير او انه على الاقل لم يثبت انه غيّرها وناقضها » لا ريب ان المتكلمين يُنكرون ذلك كل الانكار لانه يؤدي الى انكار الوحي . ولذلك فاعترافهم بالاسباب انما هو اعتراف سطحي . وهذا ما جعل الامام الغزالي يقيم الدنيا ويقعدها على الفلاسفة ليبرهن لهم ان الاسباب الحقيقية ليست موجودة في الامور التي تقع تحت ابصارهم بل في الخالق نفسه . وان النواميس الطبيعية هي « اسباب عادية لانه ليس من الواجب على الخالق التزامها » وانه ليس في الكون شيء ثابت

وغير قابل للتغيير الا الله وحده . وكانه لم يكتف بتجريد النواميس الطبيعية من صفة الثبات فهاجم الفلسفة من جانبها الضعيف فكاد يصيب مقتلها . فانه بسط في كتابه « تهافت الفلاسفه » مذاهب جميع الفلاسفة ونقض كل واحد منها واظهر ما فيها كلها من الضعف والتناقض والاختلاف ثم صاح بعد ذلك : ان العقل لا يوصل الى الحقيقة لانه يخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء . فصفق جميع معاصريه طرباً لهذا الحكم الذي ضعضع به الفلسفة ولقبوه « حجة الاسلام » اي برهانه القاطع وكوكبه الساطع . وفي الحقيقة انه كان كذلك . و يسوءنا جداً ان نكون قد اضطررنا في هذا الجزء الى الاشتغال بهذا الرد عن كتابة ترجمة هذا الحكيم العظيم الذي كان له على بني عصره تاثير ما بعده تاثير . ولكن يسرنا في مقابلة ذلك ان اشتغالنا عنه كان بمحادثة الاستاذ الذي ناب في قومه منابه في هذا الزمان

فمن ذلك كله تتضح ثلاثة امور (١) ان المتكلمين كانوا اعداء للفلسفة منذ نشاتها لانها كانت تستغني عنهم وعن علمهم وتطلب معرفة الخالق بعلمها الخاص . (٢) انهم كانوا يرومون الحط من منزلة العقل كما تقدم ليتمكنوا من ضعضعة الفلسفة واضعاف مذهب الفلاسفة في الاسباب والمسببات (٣) انهم كانوا ينكرون الاسباب « كما يفهمها الفلاسفة » . والدليل التاريخي على ذلك قول ابن رشد نفسه في آخر كتابه (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) ما نصه بحرفه وهو . « كثير من الاصول التي بنت عليها الاشعرية (وهم من المتكلمين) معارفها هي سو فسطائية . فانها تجحد كثيراً من الضروريات مثل ثبوت الاعراض وتاثير الاشياء بعضها في بعض ووجود الاسباب الضرورية للمسببات والصور الجوهرية والوسائط . ولقد تعدى نظارهم في هذا المعنى على المسلمين ان فرقة من الاشعرية كفرت من ليس يعرف وجود الباري بالطرق التي وضعوها لمعرفته في كتبهم وهم الكافرون والضالون بالحقيقة »

هذا راي ابن رشد بالحرف الواحد في مناظريه الذين عنيناهم في ترجمته . وهو قول صريح لا يقبل الرد ولا التاويل واصدق دليل على اننا لم ننسب الى مناظري الفيلسوف في ترجمته الا ما كان ينسبه اليهم هو نفسه

واما « المعتزلة » التي ذكر الاستاذ عنها انها من بين فرق المتكلمين الفرقة التي تعتقد بالاسباب اعتقاداً وطيداً فانها لا تدخل في موضوعنا . وذلك لعدة اسباب : منها ان المعتزلة كانت خصماً للمتكلمين الذين كان ابن رشد ينازلهم في مناظراته . وخصم خصمك

صديق لك وان كانت تفصلك عنه امور اخرى . ومنها ان المعتزلة لم تاخذ مبادئها العقلية في الاسباب وغيرها الا من الفلسفة اليونانية التي سعي المنصور ثاني خلفاء العباسيين في ترجمة بعض كتبها قبل المامون. ولذلك فان النبع الذي استقت منه هي وابن رشد واحد. ومنها ان المعتزلة رامت ان تعمل في الدين الاسلامي ما عمله الانجيليون (البروتستانت) بعدها في الدين المسيحي فانها قررت خلق القرآن وغير ذلك من الامور . فهي اذًا موضوعة خارج دائرة المتكلمين الذين وظيفتهم الدفاع عن السنة الاصلية الحقيقية .

وفضلاً عن ذلك فان المعتزلة لا تعتقد بالاسباب « كما يفهمها الفلاسفة » بل مذهبها فيها وسط بين الفلاسفة والمتكلمين. ونحن نشك قطعياً ان في العالم فرقة دينية (اسلامية كانت او مسيحية) تعتقد بهذه الاسباب اعتقادًا ينطبق على مذهب الفلاسفة(١) اي الاعتقاد بان تلك الاسباب ثابتة لا تتغير ابدًا « لان الخالق خلقها غير قابلة للتغيير » . وعلى ذلك يكون بين المذهب الفلسفي والمذهب الملّي ما بين الارض والسماء . ولا غرابة ولا عجب فان الواحد ارضي والآخر سماوي . و بعبارة اخرى : واحد عقلي و واحد قلبي . ولولا هذا البون العظيم بين المذهبين لما حدث في التاريخ ما حدث بين الدين والفلسفة في كل دين ومذهب . لان مجرد اعتراف الفيلسوف بان الخالق سبحانه وتعالى يخرق نواميسه في كل يوم لانقاذ عباده الصالحين واختصاصهم بنعمه — كاف لان يرضي خصميه المتكلم واللاهوتي اذ في ذلك تغلبهما عليه ونقض لاساس الفلسفة « الحقيقية »

الاضطهاد في المذهبين — هذا ما نذكره عن المتكلين والفلاسفة وفيه الكفاية. وقبل الانتقال من هذا الموضوع الى موضوع آخر نورد ما ذكره الاستاذ بعد بسطه فلسفة المتكلمين في الاسباب. قال ما نصه : « فان شئت ان نقول انه مذهب مع ذلك غامض يكدّ الذهن في فهمه فلك ان تقول وان تنعم النظر حتى تفهم مبانيه واصوله » ولا ريب ان الاستاذ لم يقل هذا القول الا لافتكاره بان « الاعتقاد بتغير النواميس الطبيعية » والاعتقاد « بوجودها» نقيضان لا يجتمعان ولذلك قال عن مذهب المتكلمين فيه انه مذهب غامض . وقال في الختام « نعم طرأ فساد على عقائد بعض المنتسبين الى ائمة ذلك المذهب واساءوا الظن بالقدر وتظاهروا بترك الاسباب في اقوالهم وان كانوا اشد الناس تمسكاً بها في اعمالهم. وتعلقوا

---

(١) الا بعض الانجيليين الذين يعتقدون بمذهب الفيلسوف سبنسر ويحسبون مع ذلك انجيليين

من الخوارق بحبل واهن ميلاً الى اهواء من جاورهم » نقول فما العمل اذا كان الحول والطول والسلطة في كل الازمان وفي كل الاديان انما هي للفرقة التي عناها الاستاذ . فهي التي اضطهدت العلم والفلسفة في العالم لاطفاء نور العقل . هي التي كانت تهاجم الفلاسفة والعلماء فتحرق منازلهم في الاندلس قبل ان يدري بها رجال الشرطة . ومن غير انذار ولا محاكمة . هي التي كانت تكوي سمعة كل مشتغل بالفلسفة بكلمة نارية كانت تفعل فيه وفي مصالحه فعل السم في البدن في ذلك الزمن وهي كلمة « زنديق متمنطق » ولذلك جاء في امثالها « من تمنطق فقد تزندق » . واحياناً كانت تزج اصحاب العقول في السجون واحياناً كانت تقتلهم كما فعلت بابن حبيب الاشبيلي . هي التي كان اذا احس بعض الخلفاء بارتجاف عروشهم من تحتهم بادروا الى التزلف اليها باضطهاد العلم والفلسفة كما صنع الحاجب المنصور في الاندلس حين اغتصابه الخلافة من هشام واحراقه جميع كتب المنطق والفلسفة في احدى ساحات قرطبة تزلفاً لتلك الفرقة . وهي هي التي فعلت في المسيحية كما فعلت في الاسلام لان الانسان انسان سواء كان مسلماً او مسيحياً اي فيه كل رذائل الانسانية وفضائلها . ولذلك قتل المسيحيون فلاسفتهم وعلماءهم واهانوهم وملأوا تاريخهم بحوادث يحمر منها وجهه ووجوه ابنائهم خجلاً . — هذه هي حال تلك الفرقة عند المسيحيين والمسلمين معاً . ونحن نسلم مع الاستاذ بان كل الضرر منها . ونزيد على ذلك انه يكون وراءها عادة في كل ملة وكل دين رجال افاضل عقلاء لا يرضون عن اعمالها ولكنهم يسكتون بالرغم عنهم ورجال افاضل عقلاء لا يطيقون السكوت كابن رشد وغيره فتقوم القيامة عليهم . ولكن بما اننا سلمنا مع الاستاذ بهذا الامر البديهي فاننا نؤمل ان يسلم معنا بامر بديهي آخر وهو : وجوب الدفاع عن الفلاسفة والعلماء في هذا الزمن زمن الفلسفة والعلم لا عن الفرقة التي لم يكن لها من غرض في كل عصر وكل ملة غير خنق الفلسفة والعلم . لان الدفاع عنها واثبات ما ليس لها لها حيف وظلم لاولئك الشجعان الكرام الذين كانوا مناظريها وراحوا شهداء في سبيل مناظرتها . بل هو بمثابة تخطئة لهم ولمبادئهم ووضع الحق في جانب مناظريهم . مع انهم لم يقدموا على ما اقدموا عليه من الامور العظام الا وهم يعتمدون على انصاف ابنائهم في المستقبل لاعطائهم حقهم وقدرهم قدرهم

التاويل — وقد قال الاستاذ ايضاً « القول بنفي الرابطة بين الاسباب ومسبباتها جدير باهل دين ورد في كتابه ان الايمان وحده كاف في ان يكون للمؤمن ان يقول للجبل تحول عن مكانك فيتحول الجبل . يليق باهل دين يعد الصلاة وحدها اذا اخلص المصلي فيها كافية في

اقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم العنصري · وليس هذا الدين هو دين الاسلام · دين الاسلام هو الذي جاء في كتابة « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » — نقول اننا لا نجيب عن ذلك شيئاً ولكننا ناسف لصدور هذا الكلام عن قلم الاستاذ · ولو كان فيلسوف الاسلام ابن رشد من معاصرينا اليوم لقال ولا شك لرفيقه الاستاذ بعد قراءة هذه النبذة ما قاله في كتابه تهافت التهافت من ان في كل دين وملة اموراً اذا لم يؤولها المؤمن تاويلاً شعرياً جميلاً تعذّر التسليم بها لمعارضتها العقل وادى ذلك الى ضعضعة اساس الاديان · والعجب من الاستاذ كيف نسي هذا الامر مع انه في الدروس الجميلة التي يلقيها في الازهر في تفسير القرآن والتي تنشرها مجلة المنار لا مّ لفضيلته غير هذا التاويل

﴿ الاعتراض الثاني ﴾ بلغنا الآن الاعتراض الثاني وهو تخطئة الاستاذ الجامعة في ما لخصته من مذهب ابن رشد وردّه على ما نقلته من راي الفيلسوف في الخلود واتصال الانسان بالخالق وخلق العالم

ولكننا قبل الدخول في هذه المسائل نقدّم عدة مقدمات لنجعلها اساساً للبحث فنقول

(١) من المعلوم ان مبادىء الفلاسفة لا تُعرف من كتاب واحد من كتبهم بل من مجموع كتبهم · فالذي يُقدم على بسط فلسفة لاحد الفلاسفة يجب عليه مطالعة اهم كتبه ليستشهد بها

(٢) ان كتب الفيلسوف ابن رشد لم تُنشر كلها في اللغة العربية · وحسبك انها اليوم اندر الكتب حتى ان مكتبة المجلس البلدي لا تتضمن كتاباً منها · وهي في الاصل مخطوطة بخط مغربي · ولما كان النساخ العرب ينسخونها باللغة العربية كانوا يحذفون المواضع المهمة منها او يبدّلونها فراراً من الملام والاضطهاد · وانما نُشرت سالمة صحيحة في اللغة اللاتينية فقط لان يهود الاندلس من تلامذة ابن رشد « واكثر تلامذته كانوا من اليهود والنصارى » نقلوها الى لغتهم العبرانية لما طردهم العرب من الاندلس الى جبال البيرينه ثم اخرجوها من العبرانية الى اللاتينية ومنها اخذها علماء اوربا · وقد ترجمها اليهود ترجمة حرفية تقريباً حتى ان العالم بالعبرانية يستطيع ارجاع الكلمات العبرانية الى اصلها العربي الا في كتابين او ثلاثة · وعلى ذلك فعلماء الافرنج الذين وقفوا حياتهم في ذلك الزمان لدرس فلسفة ابن رشد او الردّ عليها ادرى بحقيقتها من علماء العرب انه هم لان هذه الفلسفة دخلت في حياتهم الادبية واما العرب فقد سمعوا بها سماعاً فقط او وقفوا

على بعض كتبها

(٣) فبناء على ذلك لا مناص للكاتب العربي اليوم من اخذ تلك الفلسفة عن الافرنج انفسهم . ولا يُشترط في هذا الاخذ سوى حسن اختيار المؤلف اي ان يكون ثقة ومنصفاً غير متعصب لفريق دون فريق . وهذا ما توخته الجامعة . فانها اعتمدت في تلخيص فلسفة ابن رشد في بضع صفحات على مقالة للعالم كاري في الانسيكلوبيذية الكبرى الفرنسوية وعلى كتاب للمستر مونك المستشرق المشهور الذي حفظ كتب ابن رشد عن ظهر قلبه كما يحفظ المؤلف كتب نفسه . وعنوان هذا الكتاب « مزيج من فلسفة العرب واليهود » وهو في الاصل مقالة نشرها المؤلف في « قاموس العلوم الفلسفي » ثم زاد فيها وجعلها كتاباً على حدة

صحة ما نشرته الجامعة عن ابن رشد

ولما وردنا ردّ الاستاذ ورأينا فيه ما فيه من المخالفة لمبادىء ابن رشد التي بسطناها اعتماداً على هذين العالمين التمسنا كتباً اخرى . فاخذنا كتاباً للمستر مولر عنوانه « فلسفة ابن رشد ومبادئه الدينية » وكتاباً آخر عنوانه « ابن رشد وفلسفته » وهو للفيلسوف رنان المشهور الذي يعرف الاستاذ انصافه ونزاهته وبراءته من وصمة التعصب فضلاً عن معرفته اللغة اليونانية لغة اريسطو واللغة اللاتينية التي تُرجمت اليها كتب ابن رشد ثاني مرة واللغة العبرانية التي تُرجمت اليها اول مرة واللغة العربية التي كُتبت بها في الاصل . ومعلوم ان عالماً عظيماً وفيلسوفاً كبيراً مثل رنان لا يُقدم على شرح فلسفة ابن رشد ويكتب فيها اكثر من اربعمائة صفحة بحجم كبير الا بعد درسها درساً دقيقاً في كتبها العديدة التي كانت قريبة منه في مكاتب اسبانيا وفرنسا وايطاليا

ولكن ما اشد ما كانت دهشتنا حينما كنا نتصفح تلك الصفحات الثمينة . ذلك اننا وجدنا في كل صفحة منها تصديقاً للخلاصة الفلسفية التي نشرناها في الجزء السابق . فهي هي بلا زيادة ولا نقصان مع حفظ نسبة الاختصار والاسهاب في المصدرين . فلم يبقَ عندنا اقل ريب في ان ما ذكرته الجامعة عن فلسفة ابن رشد هو الصحيح من اوله الى آخره وليس في وسعنا حذف كلمة واحدة منه . لانه متى اتفقت الروايات دلّ هذا الاتفاق على صحة النقل . والاستاذ اعزه الله يعرف اللغة الفرنسوية فاذا شاء بعثنا اليه بكتاب رنان وعليه العلامات التي جعلناها في مواضعه المهمة بقلم من رصاص

ومتى طالع الاستاذ هذا الكتاب تحقق اننا لم ننسب الى الفيلسوف شيئاً من عندنا . فان رنان يثبت في كتابه هذا التعريف الذي عرّفت به الجامعة المادة في راي ابن رشد. وما ذكرته عن طريقة الخلق واتصال الخالق بالكون وما وصفت به العقل الاول واتصال الانسان بالخالق بواسطة العلم لا بالصلاة ويذكر عن رايه في الخلود وعقل الانسانية ما ذكرته الجامعة بالتمام ويقول ان هذا المذهب قريب من مذهب الماديين لانه يقيد الخالق تقييداً لا يقبله دين من الاديان . وعند كل عبارة يذكرها يدل في حواشي الكتاب على ما يثبتها فيقول مثلاً : راجع كتابه تهافت التهافت في الصفحة كذا او راجع كتابه في الطبيعيات الصفحة كذا او اطلب الصفحة كذا من كتابه في ما وراء الطبيعة الخ (١) واحياناً يورد باللغة اليونانية نص كلام اريسطو نفسه ليشرح غامضه . وهذا يدل على انه اقدر من ابن رشد في هذا الشان واحق منه بالثقة فيه لان ابن رشد كان يجهل اللغة اليونانية وانما قرأ فلسفة اريسطو في الكتب العربية التي ترجمها النساطرة والسريان قبله كما ذكرنا في ترجمته . ولذلك اخطأ في عدة مواضع فيها. وقد ذكر رنان في كتابه هذا الخطأ . ومنه نستنتج امرًا جديرًا بالاعتبار وهو انه اذا وجبت الثقة بفلسفة اريسطو التي نقلها ابن رشد وشرحها مع عدم معرفته باللغة اليونانية فانها واجبة ايضاً فيما يختص بفلسفة ابن رشد التي ينقلها الافرنج خصوصاً متى كانوا عالمين باللاتينية والعبرانية واليونانية والعربية

﴿ الاعتراض الثالث ﴾ وهذا القول يسوقنا الى الاعتراض الثالث وهو قول الاستاذ ان ما ذكرته الجامعة عن « العقول » لا ينطبق على مذاهب الفلاسفة فيها وذكره ان العقل الاول ليس كما ذكرت الجامعة بل هو الذي صدر عنه الفلك التاسع المسمى عندهم بالفلك الاطلس وان العقل التاسع صدر عنه فلك القمر ونفسه والعقل العاشر وهو المسمى عندهم العقل الفعال وعن هذا العقل صدرت المادة العنصرية الخ . ففيه نقول

خطاء العرب في مسالة العقول

ان ما ذكره الاستاذ عن « العقول » ليس في شيء من آراء الفلاسفة ولا فلسفة

---

(١) لم ننشر هنا هذه الشهادات العديدة لاننا ابقيناها الى الجزء القادم للاسهاب في هذا الموضوع زيادة في شرح فلسفة اريسطو وابن رشد التي توجهت اليها الآن انظار جميع القراء

ار يسطو كما قال وانما هو من آراء « فلاسفة العرب » دون سواهم · وسبب هذا الخطاء الغريب الذي وقع فيه فلاسفة العرب حتى انهم جعلوا للاجرام السماوية « نفوساً مفارقة لها ولها تعلق باجسادها كتعلق انفسنا بابداننا » امران : الاول ان العلم كان يومئذ يجهل ما اكتشفه نيوتن بعد ذلك من وحدة النظام في الفضاء اي ان كل الكائنات والاجرام السابحة فيه هي كون واحد محكوم بنواميس ثابتة وهذه النواميس متشابهة في هذا العالم وفي اقصى العوالم · وبناء على جهل العرب يومئذ هذه الحقيقة وضعوا للاجرام افلاكاً خصوصية مستقلة وجعلوا لها عقولاً فقالوا ان هذا الفلك صدر عن العقل التاسع وذاك عن العقل الاول وهلم جرّا · والامر الثاني انهم اخطئوا في فهم عبارة وردت في كلام ار يسطو وعليها بنوا مذهبهم في العقول · ولبيان ذلك نقول

لما تناول العرب فلسفة ار يسطو وجدوا انه يعتقد بخالق متصل بالكون يديره و يدبّره · فرغبةً في تنزيه الخالق عن الاتصال بالكون اتصالاً يجعله مقيداً و ينفي الاختيار عنه قالوا ان ما يسميه ار يسطو خالقاً هو « العقل الاول » الذي تصدر عنه الحركة والقوة للعوالم وهذا العقل الاول متصل بالكون من جهة ليفيض عليه القوة ومتصل بالخالق من جهة اخرى ليستمدّ منه · فكانه واسطة بينهما · وهذا معنى قولنا في الجزء السابق « اما العقل الاول الذي منه قوة الاجرام وحركتها فهو في قلب هذه الدوائر » وايضاً « وبناء على ذلك لا يكون للكون اتصال بالخالق مباشرة وانما هذا الاتصال للعقل الاول وحده »

و بعد تقرير العرب ذلك رأوا في كتاب لار يسطو في ما وراء الطبيعة هذه العبارة « لقد ورد في اقوال الاقدمين في سياق اسطورة من الاساطير ان الاجرام السماوية آلهة وان الالوهية تشمل الطبيعة كلها · فاذا جردنا هذا القول من ثوبه الخرافي ونظرنا الى ما تحته من المعنى الدقيق الذي مآله ان العقول الاولى التي خلقت الكون هي آلهة امكننا ان نقول ان ذلك القول في غاية الصواب »

فيظهر ان هذه العبارة اصابت هوىً في نفوس فلاسفة العرب لرغبتهم في تنزيه الخالق كما تقدم او انهم لم يفهموها فهماً شعرياً تصوريا كما وردت في كلام ار يسطو ولذلك جعلوا للاجرام السماوية عقولاً ونفوساً متعلقة بها · فكانها وزراء تساعد العقل الاول ·

وقد روى الذهبي في سيرة الخليفة يعقوب المنصور انه وُجد بخط ابن رشد على بعض تلاخيصه هذه العبارة (وجدوا ان الزهرة « الجرم السماوي » احد الالهة) فكان ذلك سبباً من اسباب نكبته · ومنه يظهر ان ابن رشد قد طاوع فلاسفة العرب في مسالة

العقول كما ذكرنا ذلك في الجزء الماضي

اما فلاسفة العصر فانهم يستغربون وجود تلك العبارة في كتاب اريسطو لان مبادىء اريسطو بعيدة من معناها · ولذلك يقولون ان احد النساخ زورها ودسها فيه · فكانت سبباً في تأليه الاجرام ونسبة العقول اليها · وهذا لا يدخل في فلسفة اريسطو قطعياً

خوف الكنيسة -- اما قول الاستاذ «ان راي ابن رشد هو الذي زعزع طمأنينة الكنيسة في ذلك القرن وافزع القابضين على مفاتيح القلوب بذلك الوقت الواقفين على ابوابها ياذنون لما شاءوا من العقائد والافكار ان يدخل فيها و يطردون ما شاءوا » فنردّ عليه بان الذي زعزع طمأنينة الكنيسة يومئذ هو ما كانوا يروونه عن ابن رشد لا رأيه نفسه · فقد قام قبل تلامذة ابن رشد كثيرون من الادباء في ايطاليا وفرنسا واخذوا في مقاومة الديانة المسيحية · منهم معلم في ايطاليا كان يقول لتلامذته ان كتب اليونان والرومان تتضمن من الحقائق اكثر مما تتضمنه الكتب المسيحية منها · وانما الذي اخاف المسيحيين في ذلك الزمن وجعلهم يعتبرون ابن رشد بمثابة غول هائل قول بعضهم عنه انه كتب كتاباً عنوانه « الغشاشون الثلاثة » يعني اصحاب الشرائع الثلاث اليهودية والاسلامية والمسيحية · و بعضهم يقول انه قرأ هذا الكتاب باللغة العربية ولذلك تحسر رنان لانه لم يجده · وهم ينسبون لابن رشد في الاسلام والنصرانية واليهودية والهندية اقوالاً ترتعد لها فرائص اصحاب هذه الاديان · هذا ما اخاف المسيحية يومئذ لا رايه الفلسفي · ولا ريب عندنا انه يخيف الاستاذ ايضاً وجميع الائمة في كل دين · ولكن من حسن الحظ ان تلك الروايات كانت مكذوبة على الفيلسوف الحكيم

﴿ الامور الجزئية ﴾

هذا راينا في ما ردّ به الاستاذ على الجامعة في الامور الكلية · بقيت هنالك امور جزئية تنحصر في خمسة · وهي (اولاً) ان الجامعة قالت « حدوث المادة اي وجودها بخلق خالق » والاستاذ يقول « ان الحدوث معناه الايجاد وكون المادة صادرة عن موجد لم يختلف فيه المتكلم والفيلسوف الالهي » نقول في قواميس اللغة حدث نقيض قدم والقديم في اصطلاح الفلاسفة هو الازلي الذي لا بداية له · فالحديث هو ما كان ذا بداية اي موجوداً بخلق خالق لا موجوداً بذاته منذ الازل (ثانياً) قال الاستاذ « ان الافتراض ما لا وجود له » وقد رجعنا الى قواميس اللغة ايضاً فوجدنا « فرض الشيء تصوره او عينه »

ومنه الفرض والافتراض والمفروض في باب الخطأين في علم الحساب . فالمقصود من قولنا « ان المادة الاولى ضرب من الافتراض لا بدّ منه » هو ان الفلاسفة يتصورون وجود المادة الاولى تصورًا لتعليل الخلق وان كانوا لا يستطيعون اقامة الدليل على وجودها (ثالثًا) استغرب الاستاذ وضع الجامعة عنوان « طريق الاتصال » فوق صفحة موضوعها اتصال الانسان بالخالق مع انه لا موضع لهذا الاستغراب اذ جاء في اول سطر تحت العنوان ما نصه « وان قيل ما هي علاقة الانسان بالخالق الخ » ومن ذلك يُعرف موضوع الكلام والعنوان من اول سطر في تلك الصفحة (رابعًا) قوله « ان ما قاله ارسطو في ذلك الكتاب « الفصل الثالث من كتابه النفس » معروف مشهور) يريد الاستاذ بذلك نفي ما اسندته الجامعة الى هذا الكتاب مما اخذه ابن رشد عنه فيما يختص باتصال الانسان بالخالق والعقل الفاعل والمنفعل ؛ والحال ان رنان قد افرد فصلاً خاصاً في كتابه الذي تقدم ذكره لهذا البحث وشرحه شرحًا وافيًا مستعينًا بكلمات ارسطو اليونانية نفسها ونحن نعيد قولنا ان هذا الكتاب عندنا تحت امر الاستاذ (خامسًا)قال الاستاذ « قد عرفتَ من هذا ان اتصال النفس بالعقل الفعال ليس معناه الفناء فيه او الاندغام كما عرفته الجامعة» فنحن نقول ان الجامعة لم تقل ان « الاتصال » معناه الفناء في الله او الدخول فيه (سبحانه وتعالى) فان هذا القول يقوله المتصوفة لا الفلاسفة . وانما معنى الاتصال ما ذكرناه هناك اي معرفة الله تعالى حق معرفته والوصول اليه بالفكر عن طريق العلم لا عن طريق الصلاة كما يُفهم من سياق الكلام عند اول نظر

الخاتمة

والحاصل من كل ما تقدم ان المتكلمين الاصليين يُنكرون الاسباب كما يفهمها الفلاسفة . وان ابن رشد يرى في خلق العالم واتصال الخالق به و بالانسان وخلود النفس آراء مناقضة لكل الاديان . والا فاذا كان المتكلمون لا يُنكرون الاسباب كما يفهمها ابن رشد وكان مذهبه الهيًا ملّيًا كما قال الاستاذ وهو يعتقد بالعقاب والثواب كما يفهمها العامة على ما ذكرناه في الجزء الماضي — فما سبب الخلاف بينهم ولماذا اضطهدوه وكفروه . لماذا سماه الخليفة المنصور « معطلاً وملحدًا » في المنشور الرسمي الذي كتبه كاتبه ابن عياش ونشره في الاندلس والمغرب للتحذير من فلسفة الفيلسوف . وما معنى كلمة « المعطل والملحد » هنا أليس معناها الكفر . ثم الم يطالع الاستاذ ما نقله الانصاري وابن ابي اصيبعة وغيرهما من القصائد التي نظمها يومئذ شعراء الاندلس في ذم ابن رشد ونسبة الكفر

والزندقة اليه . فهذا برهان رسمي تاريخي لا يُردُّ على ان مبادىء ابن رشد لا تنطبق على مبادىء الدين الاسلامي خلافاً لما ذكره الاستاذ . اللهم الا ان تُلطف هذه المبادىء وتخفف بان يُحذف منها كل مالا ينطبق على الدين كما كان يصنع تلامذته المسلمون في الاندلس بعد وفاته . غير اننا نرى ان الفيلسوف الجليل لا يرضى عن ذلك اذا درى به من مكانه الابدي . ذلك لانه صرف حياته وبذل النفس والنفيس في تاييد الفلسفة والبرهان فكيف يستحسن انكار ما صرف حياته في تاييده . وقد كان مبدأه في ذلك تطبيق الدين على العلم لا العلم على الدين . اي انه كان يجعل الدين تابعاً للعلم لا العلم تابعاً للدين . والدليل على ذلك وضعه في كتابه « فصل المقال » هذه القاعدة الكبرى « نحن نقطع قطعاً ان كل ما ادى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التاويل على قانون التاويل العربي » — فكيف يجوز حذف شيء من ذلك « البرهان » الذي نصبه الفيلسوف في ارض الاندلس كراية تلتف حولها العقول لمحاربة الاباطيل

بقيت لنا كلمة نسوقها الى رصيفنا الفاضل منشىء المنار المغرم « بالدفاع عن ائمة المسلمين واظهار الفرق بين الحق والباطل » وكلمتنا هذه هي الشكر له لانه تنازل عن الدفاع الى فضيلة الاستاذ المحترم كما قال في صدر مجلته . وبذلك احسن الى اللغة العربية وقرائها لانه مكّنهم من قراءة مقالة فلسفية بليغة لا يكتبها قلم غير قلم الاستاذ في هذا الزمان . واحسن الى نفسه بان كفاها مشقة الخوض في موضوع فلسفي صعب لم يتعود الخوض فيه وهو فوق طاقته . وان رام الرصيف تحقيق ما نذكره له هنا من ان هذا الامر فوق طاقته لانه يقتضي درساً لم يدرسه و براءة من كل هوى غير هوى الحقيقة المجرّدة فليقابل قوله في مقدمته بقول الاستاذ في مقدمته فيظهر له حينئذ ان بين القولين ما بين العلم الذي لم ينضج بعد و بين العلم الناضج المقرون بالنزاهة والكمال . ولعلّ الرصيف لا يعتب لهذا المقال فان الحق اولى ان يُقال وتلك المقدمة لا يخرج منها الا هذه النتيجة

آثار الشرق القديمة

ننشر في هذا الباب ما انطوى ذكره من آثار الشرق ليقف الابناء على آثار الاباء وتاريخهم فان في ذلك عبرة وفائدة

سوريا حلقة التمدن

الساميوّن ممدنو العالم · راي جديد في الفينيقيين وشعر هوميروس · الاوديسة اعلان تجاري · انشقاق النساطرة (الكلدانيين اليوم) عن المسيحيين واحتماؤهم بالاسلام كان نعمة للتمدن

جمع صاحب كتاب « التمدن الاسلامي » الذي صدر في الشهر الماضي (١) اسباب عظمة العرب واتساع فتوحهم في احد عشر سبباً وهي · نشاطهم وخفة احمالهم · اعتقادهم بالقضاء والقدر وان الانسان لا يموت الا اذا جاء اجله · مهارتهم في ركوب الخيل ورمي النبال · نبوغ رجال عظام في صدر الاسلام · صبرهم ومطاولتهم في الحرب · انجادهم بعضهم بعضاً · حفظهم خط الرجعة · واقعة اليرموك التي شددت عزائمهم · انقسام الروم والفرس يومئذ وفساد اخلاقهم · انحياز اليهود اليهم · عدلهم ورفقهم وزهدهم

وبديهيٌّ ان هنالك اسباباً اعظم من هذه الاسباب لم ينتبه جناب المؤلف اليها · منها مسالة التوحيد التي كانت كبرق خلب تخطف الابصار · ومنها (وهو اهمها كلها) « النفس الساميّة العربية » التي صاغتها عوامل بلاد العرب الطبيعية والغير الطبيعية · ولو ان امة غير امة العرب اجتمعت فيها كل الاسباب التي ذكرها المؤلف لما استطاعت ان تقوم بما قامت امة العرب به اذا لم تكن (ساميّة) · ولذلك قال رنان وجميع المستشرقين « ان النسل الذي صدر عنه الدين والحرية والنزاهة والاخلاص وتصورات النفس الغزلية انما هو نسل هنود اوربا والساميين · اما الساميون فهم جميع الشعوب التي كانت تتكلم بلغة من اللغات التي يسمونها سامية « وهي العربية والسريانية والعبرانية والارامية والكلدانية والاشورية والحميرية » فمن هذين النسلين (هنود اوربا والساميين) خرج تمدن العالم واديانه الراقية · اما هنود اوربا فقد كانت ثمار عقولهم تصورات رقيقة وحناناً وعواطف جدية اي عواطف من الزم لوازم الاداب والدين ومع ذلك فان الدين لم يخرج منهم لانهم

(١) سنعود الى هذا الكتاب في الجزء القادم لنوفيه حقه

كانوا شديدي التمسك بتقاليدهم الدينية القديمة . وانما خرج من الساميين الذين كان لهم في ذلك فضل عظيم على الانسانية . فالذين اعدوا اذًا سبيل الدين للانسانية في العالم هم اولئك البدو الذين كانوا سارحين في بلاد المشرق تحت الخيام والاطناب بعيدين عن فساد العالم واضطراباته » (يعني رنان بذلك القبائل الاسرائيلية التي خرجت منها الديانة اليهودية والديانة المسيحية والقبائل العربية التي خرجت منها الديانة الاسلامية)

نقول وكما ان الساميين (اي الشرقيين في عرفنا اليوم) كان لهم فضل عظيم على الانسانية من حيث خروج الاديان منهم كذلك كان لهم فضل عظيم عليها من حيث تعزيز الصناعة والتجارة وانتشار الفنون والمعارف . ولا ريب ان القارىء قد ادرك من هذا القول اننا لانعني به احدًا غير الفينيقيين

والذي اخطر هذا الموضوع في بالنا في هذا الشهر كتاب علمي كبير نشره العالم الفرنسوي فكتور برار وعنوانه « الفينيقيون والاوديسه » وقد قصد به الكاتب امرين : الاول تاييد ما قاله سترابون من ان هوميروس الشاعر اليوناني المشهور اعتمد على الفينيقيين في وصف البلاد الخارجية التي وصفها في قصيدته (الاوديسه) . فهم اذًا اساتذته . والثاني ان حوادث (الاوديسه) المبنيّة على نكبات البطل اليوناني عولس ابي تلماك بعد خروجه من جزيرة كاليبسو ليست بحوادث خرافية . وقد ذكر المؤلف انه اكتشف البلاد التي حدثت فيها تلك النكبات ونشر رسومها

اما الامر الاول فيوءيده المؤلف باقامة عدة ادلة على ان الفينيقيين هم الذين مدّنوا اليونان وعلى الخصوص جهات الارخبيل . وذلك ان قرصان اليونان كانوا يخطفون الفينيقيين اي سكان صور وصيداء وغيرهما من الثغور الفينيقية السورية و ياخذونهم الى بلادهم فينشرون فيها الميل الى الفنون والتجارة . واليهم اي الى هوءلاء الاسرى الذين نبغوا في اليونان وعاشوا فيها ينسب المؤلف نفائس الفنون اليونانية التي ظهرت في النهضة اليونانية . وعلى ذلك فان فينيقية او سوريا تكون الوصلة الكبرى بين التمدن القديم والتمدن اليوناني الذي تلاه . بل انها تكون استاذ اليونان واصل نهضتها

ولا يخفى ان هذا القول لا يُرضي انصار التمدن اليوناني لانه ينفي عن النفس اليونانية صفة الابداع ولذلك اكثروا من الصياح بالمؤلف واستهزءوا به . ولكن الصياح والاستهزاء لا ينقضان الدليل والبرهان

واما اثبات صحة الحوادث التي نسبها هوميروس الى عولس في الاوديسه فلسنا في صدده

الآن. ونكتفي بان نقول ان المؤلف ذكر في كتابه ان جزيرة الالاهة كاليبسو التي سافر منها عولس هي جزيرة واقعة في المدخل الشرقي لجبل طارق وتُدعى اليوم جزيرة (بريجيل) وان الشاطىء الذي قذف عليه عولس بعد سفره منها هو شاطىء جزيرة كورفو في بلاد اليونان. وقد وصف المؤلف مواقع هذه الجزيرة التي زارها بنفسه وصفاً ينطبق على وصف هوميروس

ولكن اذا ثبت ان هوميروس لم يكن قادراً من تلقاء نفسه على وصف البلاد البعيدة التي وصفها وانه اقتبس وصفها من الفينيقيين الذين كانوا يعيشون في بلاد اليونان بقي علينا ان نعلم السبب الذي اوجب على الفينيقيين تعليمه اياه وجعله يرضى بنظمه. فنقول ان هنالك واحداً من ثلاثة ؟ . فاما ان هوميروس اراد بذلك خدمة بني جنسه اليونان وافادتهم بمعلوماته الجديدة . واما انه اراد باغراء من الفنيقيين تحذير قومه اليونان من اخطار السفر التي اكثر من ذكرها ووصفها في قصيدته صرفاً لهم عن البحر ليبقى الفينيقيون منفردين فيه فلا يزاحمهم اليونان عليه . واما ان الفينيقيين راموا اتخاذ شعره البليغ بمثابة « اعلان » لبضائعهم وفضائلهم. وفي هذه الحالة تكون الاوديسه — تلك القصيدة البليغة السامية التي يقتبس منها شعراء الافرنج افكارهم واساليبهم : عبارة عن اعلان تجاري. و يكون الفينيقيون اوّل من اخترع هذه الاعلانات البليغة التي كثرت في هذا الزمان

واذ ذكرنا الحلقة الفينيقية التي ربطت التمدن القديم بالتمدن اليوناني وكانت اساساً له فاننا نذكر معها مدنية اخرى كانت سوريا حلقة لها ايضاً . واليك البيان

لما دبّ سوس الفناء في التمدن اليوناني والروماني على اثر الانقسامات والمشاحنات الدينية التي قامت بين اهله قامت في العالم دولة جديدة لتجديد شباب العالم وهي دولة العرب. فقيامها كان طبقاً للنظام الازلي الذي تديره اليد الازلية . وكان روم القسطنطينية وروم رومه في تلك الازمان في نزاع شديد بشان طبيعتي المسيح الالهية والبشرية . ففي اوائل القرن الخامس اظهر نسطوريوس بطريرك القسطنطينية رايه في ان طبيعة المسيح البشرية منفصلة عن طبيعته الالهية ولذلك لا يجوز تسمية العذراء مريم والدة الاله بل يجب ان تُدعى « والدة يسوع » فعارضه في ذلك البطريرك الاسكندري واسقف رومه لاغراض خصوصية غير الاغراض الدينية مما يطول شرحه . ثم اجتمع مجمع في افسس وقرر تكفير نسطوريوس وعزله من غير ان يحضر هذا المجمع اساقفة سوريا والشرق لانهم كانوا من حزب نسطوريوس وكان انصار البطريرك الاسكندري يخشون من ارتفاع كلمتهم . ولما

عُزل نسطور يوس ونُفي الى وطنه سوريا تفرق حزبه السوري في انحاء آسيا كلها وراح رجاله ينشرون معارفهم اليونانية وعقائدهم في جميع الاقطار فبلغوا الهند والصين وبلاد العرب . وقد عرف صاحب الشريعة الاسلامية وابو بكر الصديق بعضاً منهم

ولما قويت شوكة العرب كانوا يحمون هوءلاء النساطرة لان اعتقادهم بالسيد المسيح كان قريباً من اعتقاد المسلمين به من بعض الوجوه . وربما كان يومئذ بين الاعتقادين شيء من العلاقة . فكان النساطرة يستخرجون علوم اليونان ومعارفهم وهم آمنون في حمى الاسلام وراتعون في قصور خلفائه . وهم الذين كانوا اول من ترجم الفلسفة اليونانية الى اللغة العربية . وهم الذين انشئوا في مدينة ادميس الواقعة في ما بين النهرين المدرسة المشهورة التي خرج منها العلماء للنهضة البغدادية . وقد ذكر موءرخو العرب هوءلاء النساطرة فقالوا انهم قوم يحكمون في كل شيء بعقولهم ويفحصون كل الاراء بانفسهم . وقد ذكرنا في ترجمة ابن رشد ان هذا الفيلسوف لم يعرف فلسفة اريسطو الا من الكتب التي ترجموها . فكانه كُتب لسوريا ان تكون حلقة ثانية بين مدنية اليونان ومدنية العرب كما كانت حلقة بين المدنية القديمة والمدنية اليونانية

باب التقريظ والانتقاد

المقتطف وروايات الجامعة

حق علينا الشكر لحضرات الرصفاء الذين ذكروا بالثناء روايات الجامعة وان كانت لا تستحقه . الا اننا نرجو من رصيفنا المقتطف المفضال ان يسمح لنا بالرد على اعتراض اعترضه على امر ورد في هذه الروايات . فقد قلنا في حاشية في اثناء الكلام عن التنويم المغنطيسي فيها وما ينسبه اليه اهله من المدهشات ما نصه « كم من الاشياء يجهلها الانسان . فليس من العقل ان ينكرها لانه يجهلها » وعربنا حادثة خيالية ذكرها ديماس في الرواية وهي ان الدكتور جيلبار نوّم الكونتس اندري فرات وهي نائمة في قصر الملك صندوقة

كانت موضوعة في قصرها — فقال رصيفنا المقتطف ان العالم معذور اذا انكر ذلك لانه لا يسلّم الا بما يقع تحت حواسه وتكرر تجربته مرارًا امام شهود من العلماء

فنحن نري ان هذا القول في محله اذا كان الغرض منه دحض قول القائلين بان النائم نومًا مغنطيسيًا لا يرى الاشياء الغائبة عن بصره ٠ واما اذا كان الغرض منه اظهار ان موءلفي الروايات لا يجوز لهم ان يتجاوزوا حدود العلم في ما يكتبونه فكثيرون من مشاهير موءلفي الروايات يردّونه ٠ ذلك لانهم فريقان : فريق يحرّم ذلك وفريق يحلله ٠ ومن المحللين شكسبير نفسه فانه جعل ابا هملت يظهر بعد مقتله لابنه « في ملعب التمثيل لا في المنام » ويرشده الى قاتله ٠ فهل ان العلم يسلّم بهذا ويقبله ؟ وبناء على ذلك يكون موءلفو الروايات شبيهين بالشعراء الذين قيل فيهم انهم يتبعهم الغاوون وفي كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون ٠ وما ذلك الا لانهم يحاولون سبق الفكر البشرى بما يتصورونه ويصوّرونه من العوالم الخيالية التي يخلقونها ٠ فاحيانًا يصيبون كما اصاب جول فرن في وصفه المناطيد والغواصات قبل اختراعها واحيانًا يخطئون ٠ واحيانًا يتعمدون الخطأ تزويقًا للكلام والتماسًا للعجيب الغريب ارضاء لطلابه

واما اذا كان اعتراض الرصيف الكريم هو على قول الملخص العربي في الحاشية «كم من الاشياء يجهلها الانسان فليس من العقل ان ينكرها لانه يجهلها » لا على المؤلف ديماس نفسه فاننا نقول في ذلك :

الباحثون اليوم فريقان : فريق معطل لا يسلّم بشيء خارجًا عن دائرة المحسوسات مطلقًا ولا يعرف غير تاثير المادة في المادة ٠ وفريق يبقي في قصر العقل والعلم والمادة كوة مفتوحة على فضاء الابدية المظلم لعله يرد منها شيء جديد ٠ وهذا الفريق يعتقد بوجود حقائق ادبية وقلبية اعتقاده بوجود حقائق عقلية ٠ والجامعة من الفريق الثاني ولذلك تكره « انكار كل ما لا يقوم الدليل العقلي عليه » لان هذا الانكار قد يوصل "الآن" الشرق وسكانه الى ما لا نروم ذكره ٠ ونحن نذكر ان رصيفنا المقتطف هو من اصحاب هذا الراي ايضًا ٠ فقد اهتم منذ عدة سنوات اهتمامًا شديدًا بالمسائل الخيالية كالتنويم المغنطيسي وقراءة الافكار وانتقال الافكار وغير ذلك من المباحث التي يعدّها اليوم العلماء الذين اشار اليهم الرصيف الكريم من قبيل الاوهام والاحلام ٠ فقد سُئل المقتطف في الجزء الرابع من السنة الثالثة عشرة الصفحة ٢٧٦ (هل تقرر امكان قراءة الافكار) فاجاب « ان اشهر قارئي الافكار كمبرلند والارجح انه صادق في اقواله وهو نفسه قد نسب قراءته للافكار

الى حركة عضلية خفيفة في من يقرأ له افكاره يشعر بها كمبرلند ولا يشعر بها صاحبها والمرجع عندنا ان قراءة الافكار صحيحة ولكن تعليلها غير معروف » وفي الصفحة ٣٤٩ من السنة السابعة عشرة علل المقتطف قراءة كمبرلند افكار غيره بقوله (والمادي له في كل ذلك مطاوعة يد الشخص المضمر او مقاومتها والشخص نفسه غير شاعر بذلك . وهنا تقوم مزية المستر كمبرلند . فانه يشعر بهذه المطاوعة او المقاومة مع ان صاحبها لا يشعر بها . وقد علمنا ان في بيروت شاباً ظهرت فيه هذه القوة وهو يستدل بها على افكار غيره كما يستدل كمبرلند) نقول وكمبرلند هذا قد ثبت اليوم لدى علماء او ربا ان جميع ما صنعه من باب قراءة الافكار كان تدجيلاً وتضليلاً وشعوذة

وفي الصفحة ٧٩٨ من المجلد المذكور قال الرصيف الكريم في مقالة عن الماديين والروحيين (وعليه نحكم بوجود النفس او الروح لتعليل ما لا يعلل بغيرها كالاثير ولو لم نستطع ان نقيم البرهان العلمي على وجودها كما لا نستطيع ان نقيمه على وجوده) وفي الصفحة ٣٨٧ من مقالة عنوانها « تدين العجماوات » ما نصه (وهنا يقف العلم الطبيعي لانه لا يستطيع ان يثبت هذا الامر (اي تدين الحيوان) اثباتاً خالياً من كل ريب ولا ان ينقضه نقضاً تاماً) وفي الصفحة ٦٨٧ من السنة الثامنة عشرة فصل في غرائب الاتفاق هذه خاتمته « حبذا لو انتبه القراء الى هذا الموضوع وكتبوا ما يقع لهم من غرائب الاتفاق وتحرّوا الدقة التامة فيه لعله يكون سبباً لاكتشاف حقيقة غير معروفة حتى الآن)

وفي الصفحة ١٥١ من السنة السابعة عشرة فصل عنوانه « انتقال الافكار » وموضوعه شبيه بموضوع حادثة اندري . وفيه ما نصه « ذكرنا غير مرة ان زوجة الاستاذ سدجوك العالم النفسي تبحث مثله في « المسائل النفسية » كاسباب الاحلام والهواجس والخيالات والتخيلات والنوم المغنطيسي » وفي هذه المقالة يقول (لو كانت معرفتها متوقفة على الصدفة لما عرفت اكثر من رقعة واحدة) و بعده بعدة اسطر (وذلك مما يعسر تعليله بالصدفة والاتفاق) نقول ولا ريب انه اذا كان التنويم المغنطيسي من « المسائل النفسية » فحادثة اندري ممكنة بلا جدال لان انصار التنويم واستحضار الارواح يقولون ان النفس هي التي تصنع ذلك الصنع

فكل هذه امور تدل على ان الرصيف الكريم من الفريق الثاني الذي يبقي في قصره العلمي كوة مفتوحة على الفضاء الابدي المظلم طبقاً لقول ابن الاثير : « ان ما اجهل اكثر مما اعلم » ولذلك استغربت الجامعة انكاره عليها تركها كوة مفتوحة على ذلك الفضاء .

اللهم الا ان يكون الرسوخ في العلم قد غير راي الاستاذ . وحينئذ نخشى ان نقوى بذلك حجة انصار الاوهام والاباطيل

﴿ كتاب حاضر المصريين ﴾

تاليف جناب محمد افندي عمر في مصلحة البوسطة المصرية

« حاضر المصريين او سر تاخرهم » كتاب ضخم لمؤلفه جناب محمد افندي عمر من مستخدمي البوسطة المصرية في العاصمة . وقد اهداه الى عطوفتلو مصطفى فهمي باشا رئيس النظار ونشر في صدره مقدمة بليغة من قلم حضرة المفضال عزتلو احمد بك فتحي زغلول . اما موضوع الكتاب فمعروف من عنوانه وهو ذكر حاضر مصر واسباب تاخرها . ولقد انصف الكاتب احياناً فاجاد في وصف هذه الاسباب واحياناً بالغ فيها واحياناً خرج عن حد الانصاف . اما حملته على الاغنياء وتعنيفه ابناءهم على الاسراف في المقامرات والمضاربات وغيرها فحملة لا ينكرها احد اذا كان لا يقصد بها اشخاصاً يعرفهم . وقد قلنا ذلك لانه شدّد الوطأة كثيرًا على الاغنياء وابنائهم وخصوصاً على من خربت بيوتهم منهم ونسب اليهم انهم هم الذين خربوا بيوتهم بايديهم كانه يجهل ان في العالم كثيرين من الابالسة والاشرار الاردياء لا داب لهم الا التعلق على الاغنياء والوقوف في ابوابهم للغدر بهم وامتصاص دمائهم متى آنسوا غرة منهم

وهذا الكتاب لا تخلو مطالعته من فائدة للمصريين وغيرهم . وهو يدل على ما عاناه كاتبه في سبيل جمعه وطبعه مما يوجب له الشكر الجزيل . فعسى ان يهذبه في طبعة ثانية ويذكر الحسنات بازاء السيئات فان لكل امة في اوربا سيئات كالسيئات التي عددها في كتابه بل افظع منها ومع ذلك فتلك الامم عظيمة راقية لما فيها من الحسنات في طبقاتها العالية والدانية

﴿ تاثير النساء في الارتقاء ﴾

بقلم جناب جرجي افندي نقولا باز

القى جناب جرجي افندي نقولا باز خطبة في احدى جلسات جمعية شمس البر في بيروت عنوانها « تاثير النساء في الارتقاء » ثم طبعها على حدة بعد نشرها في رصيفتنا جريدة المحبة الغراء . ونحن نتمنى ان يطالع الآباء والامهات هذه الخطبة مرارًا لما فيها من الحث على تربية البنات وبيان منزلة المرأة في المجتمع البشري ولذلك نثني على كاتبها اجمل ثناء